دار الإيمان والحياة

الرحمة المهداة

[إنما أنا رحمة مهداة]

فوزى محمد أبو زيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمة :

الحمد لله الفاتح كنوز فضله العظيم بنبيه الكريم ورسوله السيد السـند العظيـم الذى وصفه بأوصافه وأثنى عليه بأسـماء بهائه فقال فى شأنه وهو أصدق القـائلين ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكـم بـالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ [الآية: ١٢٨، سورة التوبة].

والصلاة والسلام على النور التام للملك العلام والسر الذى به بلوغ الصـالحين لكل شأو ومرام سيدنا محمد نبى المرسلين ورسول النبيين والرحمة العظمى لجميـع العالمين صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة تملأ قلوبنا نحوه بالشـوق والحنيـن وتجعلنا له فى الدنيا من خيار الأنصار والمتبعين وفى الآخـرة مـن أهـل معيتـه الصادقين وأحبابه المقربين آمين.

وبعد..

فقد جرى العرف بيننا جماعة آل العزائم من أتباع القطـب المبـارك سـيدى الشـيخ محمد على سلامة رضى الله عنه أن نولى أيام وليالى شـهر ربيـع الأول عناية خاصة لما يتفضل به الله عز وجل على الأمة المحمدية فى هذه الأيام والليـالى ببركته ﷺ من الخير العام والفضل والفتح والنور والهدى، ويجتمع الإخوان جميعـاً من كل بلدان الجمهورية فى ليلة الجمعة التالية لذكرى ليلة المولد بمسـجد الأنـوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة لإحياء هذه المناسبة بما يليق بـها مـن دروس العلـم والإنشاد الدينى والأذكار.

فقد قام الإخوان محسن عبدالحى رئيس المكتب الفنى اللاسلكى بوزارة المواصلات بالقاهرة، ومحمد على عطية الموجه بالتعليم الأزهرى بالغربية بكتابة بعض المحاضرات التى ألقيناها فى هذه المناسبة وتنحصر فى المدة من عام ١٩٩١م إلى عام ٢٠٠١م بعد تسجيلها على شرائط تسجيل ثم نسخها بغية فى تعميم النفع بها، فقمنا بمراجعتها وتخريج آياتها وأحاديثها وأجزنا إخواننا بنشرها فما كان فيها من فضل وتوفيق فمن الله عز وجل، وما كان فيها من سهو أو خطأ فمن عجلتى وتقصيرى.

وقد سميناه كتاب (الرحمة المهداة) ونرجو به من الله عز وجل أن يرزقنا نوره وهداه، وبره وتقواه، ويمتع عيون قلوبنا برؤية جمال حبيبه ومصطفاه إنه على كل شئ قدير وبالإجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

خادم الأعتاب المحمدية

فوزى محمد أبو زيد

الجميزة ـ مركز السنطة ـ غربية

ت: ٠٥٣٤٠٥١٩ ـ ٠٤٠

الثلاثاء : ٢٤ من جمادى الأولى ١٤٢٢هـ

١٤ من أغسطس ٢٠٠١م

الفصل الأول
حقائق الحضرة النبوية

- الحضرة الأحمدية.
- الحضرة النورانية.
- الحضرة الأكملية.
- درجات الإيمان.
- الجهاد الأعظم.
- حكمة الجهاد.
- ميزان الأحوال.
- المتابعة الرافعة.

حقائق الحضرة النبوية(*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين ومفتاح السعادة فى الدنيا وباب الشفاعة العظمى فى يوم الخلود سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله وآله وأصحابه وكل من اتبع هداه إلى يوم الدين. آمين

وبعد..

نحن فى هذا اليوم يا إخوانى عندما نحتفل بميلاد سيدنا رسول الله ﷺ فى الحقيقة نحتفل بميلاد حلقة واحدة من حلقات سيد الأنبياء ﷺ لأنه له ميلاد نورانى وميلاد روحانى وميلاد جسمانى فنحن نحتفل الآن بالميلاد الجسمانى، لكن الميلاد النورانى احتفل به الله مع رسل الله وأثبت ذلك فى كتاب الله عز وجل. والميلاد الروحانى احتفى به الله مع عمار السماوات من ملائكة الله وأيضاً أثبت ذلك فى كتاب الله عز وجل، أما الميلاد الجسمانى فهو الذى يحتفل به كل عام جماعة المسلمين والمؤمنين. ما السر فى تعدد هذه الحقائق؟

لأن سيدنا رسول الله ﷺ اختص بأنه رسول المرسلين ورسول الملائكة ورسول الإنس ورسول الجن ورسول كل كائن من كائنات الله عز وجل العلوية أو السفلية العاقلة التى تعقل عن الله كلامه وتهتدى إليه سبحانه وتعالى وتتعبد إليه وتشكره على جميع إنعامه ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾ [الآية: ٢٨، سورة سبأ] فهو للكل أما الأنبياء السابقون فكل واحد منهم لجماعته أو لأهل

(*) كانت هذه المحاضرة مساء يوم الخميس ١٣ ربيع الأول ١٤١٣هـ الموافق ١٠/٩/١٩٩٢م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بمناسبة الاحتفال بذكرى ميلاد رسول الله ﷺ.

بلدته أو لقومه الذين نشأ فيهم حتى أنه كان يبعث فى الزمن الواحد أكثر من نبى فواحد فى الشام وواحد فى فلسطين فمثلاً كان إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وإسماعيل كلهم فى وقت واحد وكلهم أنبياء. وكان شعيب وموسى وهارون ويوشع بن نون كلهم أنبياء. وكلهم فى وقت واحد لكن كل واحد منهم مرسل لقومه فقط أو للجماعة التى خصه بها الله عز وجل. أما الذى أرسل للجميع فهو سيدنا رسول الله ﷺ ﴿ **كافة** ﴾ يعنى عامة للناس جميعاً من قبل القبل إلى بعد البعد وهو رسول المرسلين ونبى النبيين صلوات الله وسلامه عليه فكان له ثلاث حضرات الحضرة الأحمدية والحضرة المحمودية والحضرة المحمدية.

الحضرة الأحمدية

فأما الحضرة الأحمدية فهى الحضرة التى كان يواجه بها الأنبياء والرسل السابقين ومن أجل ذلك ذكروها ﴿ **ومبشراً برسول يأتى من بعدى إسمه أحمد** ﴾ [الآية: ٦، سورة الصف] فالذى عرفوه منه ﷺ الحضرة الأحمدية وهى الحضرة النورانية التى ليس فيها جسمانية وليس فيها هيكلية وليس فيها من العناصر الأرضية شئ بل نور على نور، نور الله عز وجل على نور الحبيب ﷺ . فالأنبياء والمرسلين كانوا يستمدون من الحضرة النورانية الصافية لأن أرواحهم صافية على الدوام ولا يحتاجون مثلنا لواحد يجلسون أمامه ويوجهوا نظرهم إليه وينصتوا بسمعهم إليه لأنهم كانوا فى صفاء الصفاء وفى بهاء البهاء ولذلك كان لا يغيب عنهم نور سيد الأنبياء ﷺ منذ رأته عيون بصيرتهم فى يوم الميثاق وهم لا يغيبون عنه بل دائماً يشتاقون إليه حتى أكمل الله عليهم المنة وأتم عليهم النعمة وأرسلهم وبعثهم جميعاً بعد مجىء الصورة المحمدية الكاملة ليجددوا البيعة على حضرته صلوات الله

وسلامه عليه فى بيت المقدس كما تعلمون من أجل أن يحظوا بالشرفين ويأخذوا من الحضرتين لكن نور رسول الله ﷺ كان لا يغيب عنهم طرفة عين هذه الحضرة الأحمدية النورانية التى يسأل فيها سيدنا جابر رسول الله ﷺ ويقول له : (ما أول شئ خلقه الله يا رسول الله؟) فقال ﷺ : (خلق نور نبيك من نوره يا جابر)[١] وهذه كانت الحضرة الأولى حضرة الأنوار لأهل الأنوار.

الحضرة النورانية

أما حضرة الملائكة فإن الله عز وجل تجلى لهم بنور حبيبه ومصطفاه فى هيكل آدم عليه السلام فكان آدم الشاشة التى انعكست عليها أنوار النبى الخاتم ليستطيع ملائكة الله عز وجل أن يروه ﷺ على حسب قدراتهم وعلى حسب سعة أنوارهم وعلى حسب نورانية وشفافية ذواتهم الروحانية لأن نور رسول الله ﷺ لا يستطيع أحد أن يراه إلا إذا أعطاه الله عز وجل قوة من عنده به يراه، لكنه بذاته لا يستطيع أحد أن يراه صلوات الله وسلامه عليه.

الحضرة الأكملية

ونحن والحمد لله أكرمنا الله بالحضرة الكاملة، الحضرة المحمدية الكاملة وجعلنا الله ببركة هذه الحضرة لنا من الفضل ولنا من الهناء ولنا من الخصوصيات ما به ميزّنا الله عن أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة وأتم السلام. فعندما ننظر إلى لوحة الأنبياء فى القرآن التى فيها تشريفهم بذات النبى العدنان واللوحة التى لنا فى القرآن نجد تقارباً كبيراً جداً وتشابهاً كبيراً جداً بين اللوحتين فى الفضل والإكرام

---

[١] رواه عبدالرزاق فى مسنده عن جابر.

والإنعام من الله عز وجل. لوحة النبيين ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكـــم لتؤمنـــن بـــه ولتنصرنـــه قـــال ءأقررتـم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشـــهدوا وأنـــا معكـــم مـــن الشاهدين** ﴾ [الآية: ٨١، سورة آل عمران] هذه لوحة الأنبياء. أخذ الله عليهم العـــهد أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه ويؤازروه ويساعدوه صلـــوات الله وســـلامه عليـــه وحذرهم بعد ذلك ﴿ **فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ [الآية: ٨٢، ســـورة آل عمران] أى حذارى لأى واحد منكم أن يغير هذا العهد أو يبدله.

أما لوحتنا ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيـــراً لتؤمنـــوا بـــالله ورســـوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً** ﴾ وبعد ذلك ﴿ **إن الذين يبايعونك إنمـــا يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفـــى بمـــا عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً** ﴾ [الآيتان من ٨ـــ١٠، سورة الفتـــح] فـــأخذ علينا العهد أن نؤمن به ﴿ **لتؤمنـــوا بالله ورسوله** ﴾ وتعزروه يعنـــى تســـاعدوه وتعاونوه وتعاضدوه وتناصروه على تبليغ رسالة الله عز وجل (**وتوقروه**) تعظمـــوه وتبجلوه وتكرموه لأن هذا أمر من الله عز وجل وهذا العهد هو نفس العهد لأن الذى بايع رسول الله فإنما بايع الله عز وجل ﴿ **إن الذين يبايعونك** ﴾ لم يقل كأنما يبايعون الله بل قال ﴿ **إنما يبايعون الله** ﴾ واليد التى كانت فوق أيديهم كانت يد مـــن؟! يـــد الله، مع أن اليد التى كانت فوق أيديهم يد رسول الله ﷺ ﴿ **يد الله فوق أيديـــهم** ﴾ إذن نفس الخصائص التى هنا هى نفس الخصائص التى هنا وهذا يكشف لنا عـــن أن رسول الله ﷺ له نواب سابقين وله نواب لاحقين وهو ﷺ رسول الأولين كما أنـــه رسول الآخرين ورسول السابقين كما أنه رسول اللاحقين ونبى المؤمنين والمســـلمين

وأيضاً نبى المرسلين والنبيين وأيضاً نبى الملائكة والمقربين فهو نبى الكل صلـوات الله وسلامه عليه، وإن شئت قل هو كالشمس. نحن الآن فى الليل وجماعة عندهـم الآن النهار فنحن قبل بعثته كنا فى الليل وكان الأنبياء فى نهار النبـى صلـوات الله وسلامه عليه ولما أشرقت علينا شمس النبى المختار صرنا فى نهار الأنـوار إلـى يوم الفرار حتى أننا كما يقول الواحد القهار نقول يوم القيامة ﴿ **ربنا أتمم لنا نورنـا واغفر لنا إنك على كل شئ قدير** ﴾ [الآية: ٨، سورة التحريم] فنحن كنا فى النـور ولكن نريد أن يتمم الله لنا هذا النور. نحن كنا فى نور المصطفـى عليـه أفضـل الصلاة وأتم السلام صلوات الله وسلامه عليه. الذى أريد أن أقوله لإخوانى أننا فـى هذا اليوم الذى نحن فيه الآن نحتفل بيوم ميلاد الحقيقة المحمدية وهذه التى بها كمـال المعانى الروحانية وتمام المقامات الإلهية وتمام الفضائل الربانية التى أنزلها الله عـز وجل للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإن الفضل كان يخرج من كنـوز فضل الله بحساب حتى ظهر سيدنا رسـول الله ﷺ فأصبح الفضـل من عنـد الله بغير حساب ﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب** ﴾ [الآيـة: ٣٩، سـورة ص].

درجات الإيمان

فالأنبياء أمرهم الله أن يؤمنوا برسول الله ﷺ وأمرنا نحن أن نؤمن به وأمرهـم أن ينصروه وأمرنا كذلك أن ننصره. ما المقصود بالإيمان هنا؟ وما كيفيـة النصـر هنا ؟ نحن كلنا مؤمنون برسول الله هل أحد منّا غير مؤمن يا إخوانـى؟ الحمـد لله كلنا مؤمنين لكن ربنا يأتى فى القرآن ويضع منبهات فمثلاً يقول ﴿ **يا أيـها الذيـن آمنوا أمنوا** ﴾ [الآية: ١٣٦، سورة النساء] نحن مؤمنون فبماذا نؤمن ثانية؟ يقصـد

بذلك زيادة الإيمان أى نريد درجة أعلى فى الإيمان ودرجة أرقى فى الإيمان بالنبى العدنان ﷺ . كل إنسان يؤمن بأنه رسول الله ويقول لا إله إلا الله محمد رسول الله يحرم عليه الخلود فى عذاب النار وضمن الله له دخول الجنة مع الأبرار وهناك من يؤمن إيماناً أكثر وأكبر أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى هل نحن جميعاً نؤمن بهذا الإيمان؟ لا فالذى يؤمن بهذا الإيمان معناه أن أمره ونهيه ووصاياه ﷺ تكون فى المحل الأعلى فى حياته كلها **(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)**[1] فهذه درجة أعلى فى الإيمان أن المؤمن يترك هواه ولا يكون له إلا هوى رسول الله ﷺ فإذا كان هواه أن ينام وهوى رسول الله أن يقوم من أجل أن يصلى الفجر فماذا يؤثر؟ لا شك أنه يؤثر هوى رسول الله ﷺ على هواه وكذلك لو كان هواه أن يمكث فى المنزل مع أولاده وهوى رسول الله أنه يذهب إلى بيت الله يشارك إخوانه المؤمنين فى الصلاة من أجل أن يحظى بفضل الجماعة فيؤثر هوى رسول الله ﷺ على هواه وأيضاً لو كان هواه راحة النفس وسكون البال وهناءة القلب لكن هوى رسول الله ﷺ أن يبقى أحبابه ويبقى أصحابه ويبقى أتباعه فى جهاد مستمر إلى ان يلقوا الله عز وجل لا يخرج أحدهم من جهاد إلا ويدخل فى جهاد ولا ينتهى من جهاد إلا ويبدأ فى جهاد حتى يلقى رب العباد عز وجل فيكون هنا فى هوى رسول الله ﷺ ويوطن نفسه ويشدد عزمه ويعقد قلبه على أنه لا راحة له فى الدنيا من الجهاد إلا بعد لقاء رب العباد عز وجل لكن هل الدنيا فيها راحة يا إخوانى؟ الراحة فيها يكون عليها ندم بعد ذلك والمؤمن لا يريد أن يندم يوم لا ينفع الندم ولذلك فالمؤمن على الدوام فى جهاد مستمر والجهاد يكفى أن الله عز وجل قال لنا فيه ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم** ﴾ [الآية: ٧٨، سورة الحج]

---

[1] رواه النووى فى أربعينه والخطيب عن ابن عمرو.

عندما يقول الله حق الجهاد فما مبلغ هذا الجهاد أو مداه أو نهايته؟ ليس له نهاية لكن معناه أننا فهمنا منه على قدر ما عوننا وعلى قدر عقولنا وأنفسنا لأن الإنسان طالما في هذه الحياة فهو فى جهاد دائم فى ذات الله عز وجل، جهاد مع نفسه وجهاد مع فؤاده وقلبه وجهاد مع زوجه وجهاد مع أولاده وجهاد مع جيرانه وجهاد مع إخوانه وجهاد مع رفقائه فى العمل. وجهاد مع أهل الشارع وجهاد مع التجار، جهاد مستمر وراية الجهاد فى قلب المؤمن لا تنزل أبداً إلا عندما يسلمها لرب العباد عز وجل.

الجهاد الأعظم

فالمؤمن الأرقى الذى تسلم راية الجهاد من رسول الله ورفعها وصمم على رفعها ما دام فيه نفس يتردد فى هذه الحياة ويكون له أسوة فى رسول الله ﷺ . عندما رفع الراية وأرسلوا له إن كنت تريد بما جئتنا به مالاً جمعنا لك الأموال حتى تكون أغنانا وإن كنت تريد مُلكاً ملكناك علينا وإن كنت مريضاً بحثنا لك عن الأطباء لنداويك مهما كلفنا ذلك ماذا قال؟ أشار إلى أنه لا يرضى بأى أمر من هذه الأمور بل إنه قال لعمه بعد ذلك **(والله يا عمى لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)** وهذا شعار المؤمنين الذين حملوا راية الجهاد فى صفوف سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه. إذا عرضت عليهم الدنيا بزخارفها لم يلتفتوا إليها لشغلهم بالله عز وجل والجهاد فى سبيله وإذا طلبتهم المناصب الدنيوية لم يركنوا إليها لأنهم يرجون المناصب الباقية فى جوار الباقى عز وجل وإذا عرضت عليهم جمالات الدنيا بمختلف أنواعها وأشكالها جعلوها خلف ظهورهم لأن مقصدهم هو الله عز وجل ولا يلتفتون عنه نفساً ولا أقل لا يريدون إلا وجهه ﴿ **واصبر**

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ [الآية: ٢٨، سورة الكهف] وهذا إيمان أعلى وأرقى والقوم الذين أنزلوا أنفسهم فى هذه المنزلة من الإيمان والذين هم أنتم والحمد لله هؤلاء جعلهم الرسول مثل الأنبياء السابقين وقال فيهم **(علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل)** فى الفضل وفى الكرم وفى المنن وفى العطاء الإلهى وفى النعيم الربانى فهم كهؤلاء الأنبياء السابقين إذا التزموا بهذا النهج الذى ألزمنا به سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه أما الذى يميل فليس له نصيب فى هذا الأمر.

من مال عنهم هوى فى نار شهوته لأنه مشرك قد مال للسفل

فالذى يميل قليلاً يخرج من هذا النهج لكن القوم الذين عاهدوا الله وعاهدوا رسول الله وعاهدوا أنفسهم أن يعينوا رسول الله على دعوته وأن يساعدوه على نشر شريعته وأن يكونوا بالنيابة عنه فى إحياء سنته. هؤلاء القوم لا ينتهى الجهاد منهم إلا مع النفس الأخير وحتى فى النفس الأخير تجد الواحد منهم فى جهاد فقد جاء الموت الإمام الشبلى رضى الله عنه وأرضاه وعندما أحاط به الموت طلب من خادمه أن يوضئه وعندما كان يوضئه نسى أن يخلّل لحيته وكان قد كفّ لسانه عن الكلام فأمسك بيد الخادم ووضعها على لحيته لأنه لا يستطيع أن يتكلم ليعلمه أنه لم يخلل لحيته بالماء. والتخليل من سنن الوضوء فقالوا حتى فى هذه الساعة لم ينس سنة من سنن الوضوء، لأنه فى جهاد مستمر مع الله عز وجل. والإمام الجنيد وهو فى النفس الأخير دخلوا عليه فوجدوه يختم القرآن فقالوا له حتى فى هذه الساعة. قال ومن أولى بذلك منى؟ وها أنا ذاك ألقى الله عز وجل وقد انتهيت من ختم قراءة كتابه سبحانه وتعالى ما الذى يشغلنى عن هذا الأمر وأنا مسافر إلى الله عز وجل؟

فهؤلاء القوم لا ينتهى جهادهم مع الله عز وجل إلا فى النفس الأخير وأنتم كلكم تعلمون أن شيخنا الشيخ محمد على سلامة رضى الله عنه وأرضاه خرجت روحه إلى الله عز وجل وهو فى أروع وأنصع صفحات الجهاد فقد كان سائراً على قدميه ورفض أن يركب السيارة التى أحضرها له الرفاق وأصر أن يمشى على قدميه ذاهباً ليعلم المسلمين ابتغاء وجه الله مما أفاءه عليه الله عز وجل. جهاد إلى النفس الأخير هذا حال الأتقياء الأنقياء الذين تسلموا الراية من البشير النذير ﷺ فهذا الإيمان هو الإيمان الذى يجعل الإنسان ليس له راحة إلا فى رضاء الله وفى رضاء حبيب الله ومصطفاه ﷺ .

حكمة الجهاد

﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه ﴾ أى تساعدوه. كيف نساعده؟ هل هو يحتاج منا إلى مساعدة؟ الموضوع يا إخوانى موضوع تشريف فكما شرف أصحاب رسول الله شرف الذين بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإن اختلفت أنواع الجهاد لأنهم كانوا يجاهدون بالسيوف ونحن نجاهد بالألسن والأموال **(جاهدوا المشركين بألسنتكم وأموالكم وأسلحتكم ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)**(١) كما قال ﷺ فعندما أمسكوا بالسيوف وحاربوا وقتلوا ماذا قال لهم ربنا؟! **﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾** [الآية: ١٧، سورة الأنفال] هذا ليعلم الذين آمنوا ويعلم الذين جاهدوا ويعلم الجماعة ويتخذ منكم شهداء **﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ﴾** [الآية: ١٤٠، سورة آل عمران] وفى القراءة الثانية **﴿ وليُعلم الله الذين آمنوا ﴾** يضع لهم علامة. إذاً يا إخوانى الجهاد ماض ولكن كل الموضوع أن

---

(١) رواه أحمد ومسلم والبزار عن ابن مسعود.

الله يريد أن يشرفنا ويريد أن يكرّمنا ويريد أن يعظمنا ويريد أن يجعلنا من الوجـــهاء فى الدار الآخرة أو من الوجهاء عنده فأكرمنا وجعلنا بالنيابة عن حبيبه ومصطفـــاه صلوات الله وسلامه عليه وهل معنى هذا أننا جميعاً نرتقى المنابر ونكون خطبـــاء؟ كلا لأن تبليغ دعوة رسول الله يكون كما قال الله عز وجل **﴿ لقد كـــان لكـم فـى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾** [الآيـة: ٢١، سورة الأحزاب].

ميزان الأحوال

فأنتم فى هذه الأيام التى نحن فيها مطالبون وأنا معكم مطالبين بأن نزن أحوالنـا بأحوال سيدنا رسول الله ﷺ وقد قال ﷺ **(المؤمن مرآة المؤمـــن)**(١) مَـنْ المـرآة العظمى التى يرى فيها الكل نفسه؟ سيدنا رسول الله فيجب علينا فى هذه الأيـــام أن ننظر إلى رسول الله كيف كان حاله؟ وكيف كانت معاملته؟ وكيف كـــانت أخلاقـــه؟ وكيف كانت عاداته؟ وكيف كانت سلوكياته وجهاده؟ كل هذه الأمور يزن الإنســـان بها نفســـه فى هذه الأيام **(زنـــوا أنفسكم قبل أن توزن عليكم أعمالكم)** كيـــف نـــزن أنفسنا؟ برسول الله ﷺ فبه يقيس المرء نفسه من أجل أن يرى إذا كان مقصـــراً أو أنه أدّى ما عليه. فإن كان مقصراً ندم واستغفر وسأل الله عز وجل الإقاله وإن كـــان مكثراً حمد الله على ما أفاء عليه وسأل الله عز وجل الزيادة ففى يوم ميلاد رســـول الله ﷺ هذا نزن أنفسنا ننظر أحواله وننظر أحوالنا ونرى أعماله وأعمالنا ونشـــاهد سلوكياته وسلوكياتنا ونعلم أخلاقه وأخلاقنا واعلم علم اليقين يا أخى أن الإنسان منـــا لا ينتقل خطوة فى طريق الله عز وجل إلا على أثر سيدنا ومولانـــا رســـول الله ﷺ

(١) رواه أبو داود فى سننه والبيهقى عن أبى هريرة.

لأن هذا الصراط الذى قال فيه ربنا ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه** ﴾ [الآية: ١٥٣، سورة الأنعام] فهذا اسم إشارة لسيدنا رسول الله فهو الصراط المستقيم لنا فلو كان هذا الصراط كما قال المفسرون (الطريق) لقال فامشوا عليه لكنه عز وجل يقول ﴿ **فاتبعوه** ﴾ معنى هذا أنه شخص أمامنا حقيقة نورانية أمامنا نتمثلها ونستحضر جمالها وأخلاقها ونمشى خلفها لكن لو كان الصراط كما يقولون الطريق لقال فامشوا عليه أو فاعبروه أو فمروا عليه لكن ربنا قال ﴿ **فاتبعوه** ﴾ ﷺ هذا الصراط المستقيم الذى نحن مأمورون أن نتبعه ﷺ فى كل حركاتنا وفى كل سكناتنا وكلما زاد الإنسان منا فى المتابعة لسيدنا ومولانا رسول الله كلما زاد مقامه عند الله وكلما فتح له من كنوز فضل الله ما لا يعلم قدره إلا الله عز وجل.

المتابعة الرافعة

فمفتاح الرقى إلى الله هو متابعة سيدنا ومولانا رسول الله ومفتاح كنوز فضل الله هو متابعة سيدنا ومولانا رسول الله فهو الصراط المستقيم الذى وضحه لنا الله وأمرنا أن نتبعه فى كل أنفاسنا وحركاتنا وسكناتنا صلوات الله وسلامه عليه وهذا إيمان أكبر فى المنزلة والمقام فالإيمان الأكبر المتابعة حتى قال فيه العارفون يكون الإنسان خلف رسول الله القدّ بالقدّ والنّعل بالنّعل يعنى لا ينقل قدماً ولا يضعها إلا فى موطن تأكد أن رسول الله وضعها فيه ولا يرفع طرفاً لينظر إلا إلى شئ تأكد أن سيدنا رسول الله نظر إليه وعلم الكيفية التى بها نظر إليه فيكون فى كل حركاته وسكناته خلفه ﷺ. وهذه التى يقول فيها سيدى أبو العباس المرسى رضي الله عنه وأرضاه (بقى لى أربعين عاماً لو غاب عنى ﷺ طرفة عين ما عددت نفس من المؤمنين) وهل معنى ذلك أنه لم يغب عنه بجسمه أو هيكله أو حقيقته؟ كلا ولكنه لم يغب عنه

استحضار هذه الحقيقة المحمدية لأنه فى كل نَفَس من أنفاسه فى عمـل إمـا عمـل جسمانى وإما عمل لسانى وإما عمل قلبى وإما عمل بجوارحه وإما عمل بفكرة وإمـا عمل روحانى فهو عمل بأى حقيقة من الحقائق الإنسانية وفى كل عمل مـن هـذه الأعمال لابد أن يستحضر الإنسان كيف كان ﷺ يعمل هـذا العمـل ليحتـذى بـه ويتأسى به صلوات الله وسلامه عليه ولما كان فى كل نَفَس يستحضر رسول الله فـى العمل الذى يقوم به فى هذا النَّفس حتى فى النوم فإنه يستحضر كيف كان ينام لينـام على هيئته وحتى فى المداعبة يستحضر كيف كان يداعب ليداعب على حالته وحتـى فى الجماع يستحضر كيف كان يجامع ليجامع على نيته صلوات الله وسلامه عليـه لأن الله عز وجل عندما أمر بهذا الأمر قال ﴿ **نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنـى شئتم وقدموا لأنفسكم** ﴾ [الآية: ٢٢٣، سورة البقرة] يعنى لا تنسوا فى هذا الأمـر أن تقدموا النية الصالحة هذا معنى تقدموا هنا تقدموا المتابعة لسيدنا رسول الله حتـى فى هذا الأمر الشهوانى والبهيمى يستحضر الإنسان النوايا والخواطـر التـى كـان يستحضرها سيدنا رسول الله ﷺ ليكون على أكمـل المتابعـة والمشـابهة لسـيدنا ومولانا رسول الله ﷺ إذاً هناك إيمان لسانى وهناك إيمان مع النصـرة والتعزيـز والتعضيد وهناك إيمان مع المشابهة والمتابعـة للنبـى الكريـم ﷺ ﴿ **وتعـزروه وتوقروه** ﴾ وتوقير رسول الله ﷺ يا إخوانى الأكبر ليس فى الشكليات التى دأبـت عليها الناس لكن توقير رسول الله بالنسبة للسالكين والمريدين والمحبين هو أن يـنزه الإنسان حقيقته الإنسانية وصورته الروحانية أن تخالف خير البرية ﷺ فى أى أمـر ولو حقير أو صغير حتى ولو كان من سنن العادات فضلاً عن سنن العبادات فحتـى فى سنن العادات يسعى الصالحون ليصل الإنسان منهم إلى درجة أنـه يحـاول أن يكون أكمل الناس متابعة لسيد الناس ﷺ حتى ورد أن الإمام أبى العزائم رضـى الله

عنه وأرضاه وكانت قد شلّت رجلاه فى آخر عمره وحملوه ليدخلوه المرحاض وكانوا لا يتمكنون كل التمكن فى هذه الحالة من إتيان السنة لشغلهم بحمله لكنه رضى الله عنه كان فى تمام التمكن من استحضار حال رسول الله فى هذا الأمر يعنى الذى يحمل يريد أن يؤدى المهمة بأى كيفية وخلاص لكن همه كله فى متابعة السنة فأرادوا أن يدخلوه من الجهة اليمنى فردهم بقوة شديدة جداً وقال خالفت رسول الله ﷺ ماذا أقول لرسول الله ﷺ ؟ لأنه يستحضر رسول الله فى كل عمل من الأعمال ولو كان مثل هذا العمل الذى لا نُلقى له بالاً ومعظمنا لا يعبأ دخل باليمين أو بالشمال لكن هؤلاء القوم ما وصلوا إلى هذه المقامات وما ارتقوا على هذه الدرجات إلا بحسن متابعتهم لسيدنا رسول الله ﷺ فحتى فى هذه الأمور الهيّنة فى أعيننا واللينة فى نظرنا ولكنها كبيرة فى أعينهم لأن هفوة العارفين أكبر ذنب وحتى أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه وقد جمع من الأحاديث ألف ألف حديث بأسانيدهم ورواياتهم عن رسول الله ﷺ جمع مليون حديث وحفظها بأسانيدها وكان من ضمن الذى ورد إليه أن سيدنا رسول الله كان يحب العنب والبطيخ فكان يحب أن يأكل البطيخ ولكنه منع نفسه من تناوله فقالوا له تروى لنا أن رسول الله كان يحب البطيخ فلماذا لا تأكله قال لأنه لم يرد إلىّ بسند يستريح إليه القلب كيف كان ﷺ يأكل البطيخ أى الكيفية التى كان يأكل بها وأخاف أن آكل فأخالف الكيفية التى كان يأكل عليها سيدنا رسول الله ﷺ وبعد برهة من الزمن وصله الحديث الذى وصف له الكيفية وأنه ﷺ كان يشق البطيخة نصفين ثم يشق كل نصف قطعاً على هيئة الهلال ويبدأ باليمين ويأكل من اليمين إلى اليسار فأكل متشبهاً بالنبى المختار صلوات الله وسلامه عليه هذه الأحوال يا إخوانى هى التى جعلت هؤلاء القوم يصلون إلى هذه الأحوال وقد كان ﷺ يلاحظهم فى ذلك ويعاتبهم على أدنى هفوة

يرتكبونها فى ذلك لماذا؟ لأنه حريص علـــى أن يبلغـوا هــذه المقامـات العاليـة والدرجات الراقية والأنـوار الصافية لأنه كما قال الله ﴿ **حريص عليكم بـالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ [الآية: ١٢٨، سورة التوبة] حريص على أننا نأخذ هذه المقامـات وننال هذه الدرجات ونبلغ هــذه المنازل الراقيات صلوات الله وســلامه عليــه. إذا كمال توقيره ﷺ فى توقير سنته وفى تعظيم شريعته وفى الأخذ بمحبته صلـوات الله وسلامه عليه لكن مع ملاحظة أنواره القدسية وليس الوقوف على حركاته الجسـمانية كما وقع فى ذلك كثير من المتشبهين فى هذه الأمة فإن كثيرا منـــهم وقفـوا علــى حركات الأجسام ولم ينظروا إلى حركات القلوب وإلى حركات السرائر فى متابعـة حبيب الله ﷺ وهذا هو المقياس الذى يزيد عليهم به الصالحون يعنى نحن نتشبه كما يتشبه إخواننا الذين ينسبون أنفسهم إلى السنة ونحن والحمد لله كلنا أهل ســنة لكنـا نزيد عليهم أنهم يتشبهون بالظاهر فقط ونحن نحاول قدر الاستطاعة ونحـاول بمـا يفيئ الله علينا من أنوار المصطفى أن نقتفى أثره صلوات الله وســلامه عليــه فــى حركاته القلبية وفى خطراته النفسية وفى فكراته العقلية وفى توجهاتــه الروحانيـة ونحن نتشبه به كمال التشبه فى حركاته الجسمانية صلوات الله وسلامه عليــه فــإذا كان الإنسان منا يقوم بحركات الصلاة فإن حركات الصلاة واحدة لكن الشـأن فــى حركات القلوب أثناء الصلاة هذا الذى به تفاوت الدرجات وهذا الذى فيــه اختــلاف العطاءات فإننا جميعا فى صف واحد وركوعنا واحد وسجودنا واحد ولكــن الفــرق بيننا على حسب حضور قلبنا بين يدى الواحد عز وجل ومــن هنــا كــان اهتمـام الصالحين بمتابعة سيد الأولين والآخرين ظاهرا وباطنا.

أطعــت رســول الله حبــا لوصله   فأشرف بى ربى على حضرة القدس

أطيع رسول الله فى الظاهر واقتدى برسول الله واقتفى بأثره ﷺ فـــى البـــاطن من أجل أن يكون هذا هو الاقتداء الحقيقى برسول الله ﷺ لأن الله عندما قال ﴿ **لقـد كان لكم** ﴾ لم يقل فى محمد ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** ﴾ ورســول الله يعنى الجسم والروح والحقيقة والفؤاد والقلب وكل الكمالات التى ظهرت فى سـيد السادات ﷺ ولو قال لقد كان لكم فى محمد يكون متابعة فى الظاهر فقط لكن رسول الله تكون المتابعة فى الظاهر وفى الباطن وهذا الأمر الــذى يجعلنـــا نحتـــاج إلـــى الصالحين فى هذا الأمر العظيم. أنا أتابع رسول الله فى الصلاة تمام فى التمام فـــى الظاهر لكن أريد أن اصل إلى العطاء الذى يحصل عليـــه الإنســـان المؤمـــن فـــى الصلاة. كيف أصلى؟ لابد أن أتشبه برسول الله فى حركاتى القلبية وفى توجـــــهاتى الروحانية وهذه الأشياء لا يهتدى الإنسان إليها من الجهات التشـــريعية وإنمـــا مـــن المعانى النورانية والتلميحات الحقيقية التى يلمـــح إليـــها العـــارفون ويشـــير إليـــها الواصلون لأنها موجودة فى ثنايا كلام الله وفى وسط أحاديث رسول الله ولا تلـــوح جهرة إلا للقلوب التى صفت لله عز وجل. إذاً يا إخوانى نحن مطـــالبون فـــى هـــذه الأيام المباركة أن نحاول أن ننظر إلى المرآة العظمى سيدنا رسول الله ﷺ ونحـــاول أن ننظر إلى أنفسنا فيها وننظر إلى أحوالنا فيها وننظر إلى حركاتنا وسكناتنا فيـــــها فإذا استطاع الإنسان أن يغيّر فى هذا العام خلقاً واحداً من أخلاقه ويســـتبدله بخلـــق نبيل من أخلاق رسول الله فقد فاز فوزاً عظيماً وكان له مقاماً عظيماً عند الله عـــز وجل وإذا استطاع أن يمشى على هذا المنوال فإنه إن شاء الله سيصير مـــن كمـــل الرجال لأن هذا هو طريق الرجال.

نسأل الله عز وجل أن يجملنا بجمال النبى المختار وأن يكملنا بهذه الأنـوار وأن يفتح لنا كنوز هذه الأسرار وأن يصل نور قلوبنا بنور قلــب النبــى المختـار وأن يجعلنا من الذين تمسكوا به فى السر والجهر وفى العلانية والإظهار وفى المنام وفى الصحو وفى الدنيا والآخرة حتى يكون ﷺ نوراً ظاهراً فى قلوبنا وجمـالاً مـهيماً لأرواحنا وسراً واضحاً بيننا وبين حضرة ربنا وكنزاً من العطاء مفتوحاً لناً.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثانى

فضل الصلاة على النبى

- حقيقة الصلاة عليه.
- بركة الأعمال والأقوال.
- سر جمال صورة البقاء.



فضل الصلاة على النبى(*)

يارب صلى على محمـــد   أحمد حبيبى ضيا العيون

قال الشيخ معلقا على هذا البيت الذى أنشده المنشد من قصيـــدة للإمــام أبـــى العزائم رضى الله عنه :

نحن أحوج ما نكون يا إخوانى إلى الصلاة على سيدنا ومولانا رســـول الله ﷺ فى هذا الزمن الذى نحن فيه فقد كثرت المشكلات وزادت المعضــــلات وانتشـــرت الآفات وكست الظلمات ولا مخرج لنا منها إلا بنور الله وحبيب الله ومصطفـــاه ﷺ ليخرجنا كما أخرج العرب وغير العرب من الظلمات إلى النور فهو ﷺ إلـــى يـــوم القيامة الذى يخرج الناس من كل الظلمات إلى نور الله عز وجل. ومـــع اختـــلاف الظلمات يكون اختلاف التوجهات النورانية المحمدية الموجهة للقضاء علـــى هـــذه الظلمات وهذا سر قول الله عز وجل **(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه مـا عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)** [الآية: ١٢٨، سورة التوبة].

فهو صلى الله عليه وسلم حريص على إخراجنا من كل مشكلة وحريص علـــى نجاتنا من كل معضلة وحريص على حمايتنا عند كل كارثة مذهلة لكـــن علينـــا أن نقدم الطلب لله أننا نريد أن يخرجنا سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ مما نتعرض له فـى هذه الحياة ومما نخاف منه يوم لقاء الله. والطلب الذى نقدمه لله ماذا هو ؟

يارب صلى على محمد   أحمد حبيبى ضيا العيون

(*) كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٥ من ربيع الأول ١٤١٤هـــــ الموافـــق ١٩٩٣/٩/٢م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة فى ذكرى الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ .

وهذا الطلب يا إخوانى لا يرد بل إن الاستمارة المعتمدة فـــى المــلأ الأعلــى والنموذج الذى يعرض الإنسان فيه حاله على الله والذى ينزل من الســجل النبــوى الإلهى. ما هو ؟ لما وجد ﷺ رجلا يكتب الطلب وبهذا الطلب يدعو الله عز وجــل مباشرة نادى عليه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وقال له يا هذا أخطأت طريقة كتابة هذا الطلب ليست هكذا فنظر إليه الرجل طويلا فقال ﷺ مستأنفا الكــلام : **(إذا أردت أن تدعو الله عز وجل فابدأ بالصلاة على ثم اذكر حاجتك واختم بالصلاة على. فــإن الله عز وجل يقبل الصلاة على وهو أكرم من أن يدع ما بينهما)**.

إذن النموذج المحمدى لعرض الحال على الله والذى يريد عرض حاله على الله ويستجيب له الله ماذا يفعل؟ يبدأ بالصلاة على رسول الله ﷺ ثم يذكــر حاجتــه إن كانت حاجة من حاجات الدنيا أو حاجة من حاجات الآخرة ثم يصلى على رسول الله ﷺ وفى الختام يتوجه إلى الله عز وجل والله عز وجل يقبل الصلاة التى فى البدايــة والصلاة التى فى النهاية لأنه آلى على نفسه ألا يرد صلاة على حبيبــه ومصطفــاه مهما كان حال قائلها إلا إذا كان يقولها على هيئة السخرية والاستهزاء وهذا والعيــاذ بالله يتعرض لأشد البلاء لكن إذا كان يقولها عبادة لله وتوجها إلى حضرة الله فــإن الله يقبلها بلا شك.

أدم الصلاة على النبى محمد فقبــولها حتم بغــير تردد
أعمالنا بين القبول وردهـــا إلا الصلاة على النبى محمد

لأن أى عمل آخر لابد فيه مع قول اللسان من حضور القلب ولذا يقــول ﷺ : **(لا يقبل الله دعاءا من قلب لاه)**[1] ولاه يعنى مشغول والذى يدعو الله ســواء فــى

---

[1] رواه الترمذى فى سننه والحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة.

الصلاة أو خارج الصلاة وهو مشغول فى المصالح أو فى البيت أو مــــع الأولاد أو غيره لا يقبل الله منه هذا الدعاء ولا يقبل الله الذكر لحضرته عز وجل إلا إذا كـــان عن حضور قلب ولا يقبل تلاوة القرآن إلا إذا كانت عن طـــهارة ظـــاهرة وباطنـــة للحنان المنان لكن الصلاة على رسول الله ﷺ مقبولة على كل حال فـــهى الصـــلاة التى لم يشترط لها الله طهارة فى بدايتها والصلاة التى نصليـــها لله لا تنفـــع بغـــير وضوء فلابد للإنسان أن يتوضأ قبلها ويتطهر قبلها لله عز وجل لكن الصلاة علـــى رسول الله ﷺ جائزة على أى حال وتصح على أى وضع لأن الله عز وجل قال فـــى شانها **(يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وســـلموا تســـليما)** [الآيـــة: ٥٦، ســـورة الأحزاب]. وسلموا بما وراء ذلك من علم الله عز وجل. فأى عمل يحتاج الإنســـــان أن يقبله منه الله لابد أن يبدأه بالصلاة على رسول الله ويختمه بالصلاة على رســـول الله ﷺ .

حقيقة الصلاة عليه

ولماذا طلب منا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نبدأ بـــالصلاة عليـــه ونختم بالصلاة عليه؟

لنستحضر كيف كان يتضرع ويرفع العمل لله ونحن نصلى عليه فى بداية كـــل عمل لنستحضر كيف كان ﷺ يعمل هذا العمل ويرفعه إلى حضرة الله عـــز وجـــل فالذى يدخل المسجد ويدعو بدعاء رسول الله ويقـــول **(اللـــهم افتـــح لنـــا أبـــواب رحمتك)**[1] قبلها يصلى على النبى وبعدها يصلى على النبى. وعندما يدخل يقـــول : بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعدها يقول : **(**اللهم افتـــح لنـــا أبـــواب رحمتك**)** وبعدها وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) رواه مسلم فى صحيحه وأحمد فى مسنده والترمذى فى سننه والدرامى عن فاطمة.

وهكذا فى كل أمر يبدأ الإنسان فيه بالصلاة على رسول الله وينهى هذا الأمر بالصلاة على رسول الله حتى المجالس حينما نبدأ المجالس بالصلاة والتسليم عليه لنستحضر أدبه فى الجلوس وكيفية نطقه أثناء الحديث وأدبه فى معاملة الجليس ونستحضر قسمات وجهه عندما يتوجه بالمؤانسة للجليس، وهذه الأشياء كلها نستحضرها فى المجلس وبعدها ينتهى المجلس نصلى على رسول الله ﷺ . قال ﷺ : **(ما جلس قوم فى مجلس ثم قاموا بغير ذكر الله أو الصلاة على إلا وقاموا على انتن من جيفة حمار)**[1] لماذا؟ لأنهم لا يعرفون الآداب المطلوبة فى المجالس والتى كان يصنعها ويفصلها رسول الله ﷺ . ونحن عندما نصلى على رسول الله ﷺ فى بداية كل عمل لا يعنى ذلك أن نقول بسم الله وبعدها نقول والصلاة والسلام عليك يا رسول الله فقط، وإنما نستحضر كيف كان يمشى؟ وكيف كان ينظر إلى الأرض أو ينظر إلى السماء ويمينا وشمالا؟ فنجد أن وصفه كما يقول الواصفون. كان جل نظره الملاحظة أى يراقب ما حوله ويتفقدهم وكان يطيل الصمت ليتفكر فى مخلوقات الله عز وجل وكان متواصل الأحزان لأن الدنيا ليس فيها شئ يطرف عينه فيفرح به عن الله عز وجل، وكان يديم النظر إلى الأرض ولا ينظر إلى السماء إلا لماما.

بركة الأعمال والأقوال

وهكذا عندما يجلس الإنسان وعندما يمشى الإنسان وعندما ينام الإنسان حتى فى الموت علمنا عند الموت عندما نضع الميت فى القبر نقول : (بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ) لنجعله ينام كما علمنا رسول الله، وعندما نغسله نبدأ ببسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ . وهكذا يا إخوانى المعلم عندما يبدأ الدرس لابد أن يبدأ ببسم الله

---

[1] رواه أحمد فى مسنده وأبى داود والنسائى والحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة.

والصلاة والسلام على رسول الله ليستحضر الكيفية التى كان يدرس بها رسول الله ﷺ، والهيئة التى كان يعلم بها أصحابه، والطبيب عندما يجرى عملية يبدأ ببسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وكذلك الذى ينظر فى الصحيفة يبدأ ببسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، والسائق الذى يقود السيارة كذلك يبدأ ببسم الله والصلاة على رسول الله. حتى الذى يلبس الحذاء ينبغى أن يقول قبل أن يضع رجله فى الحذاء بسم الله والصلاة على رسول الله لماذا؟ ليستحضر، وحتى لبس الحذاء فيه استحضار. طبعا. كان رسول الله ﷺ يلبس الحذاء على حالته وفى ذات يوم أراد أن يلبسه فجاء طائر عظيم الهيئة فخطفه بمنقاره وطار به فى عنان السماء ثم قلبه فنزل منه ثعبان أسود سام جدا ثم أنزله إلى رسول الله ﷺ . فعلمنا وعلم أصحابه الهيئة التى نلبس بها الحذاء فقال : **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حذائه حتى ينفضه)**[1] فالإنسان عندما يلبسه يتذكر فينفضه تأسيا برسول الله ﷺ. إذن يا إخوانى نحن محتاجون إلى أن نتأسى بسيدنا رسول الله ﷺ فى كل حركاتنا وسكناتنا لأنه حتى الأمور العادية لو تأسينا فيها برسول الله ﷺ تصير أمورا تعبدية فهى أمور عادية لكن الأسوة فيها برسول الله تجعلها عبادة تقرب الإنسان إلى حضرة الله يعنى مثلا كلنا ننظر فى المرآة مرارا وتكرارا ويمكن النساء أكثر لكن لو أن الإنسان ينظر فى المرآة وقال ما قال رسول الله : **(بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى)**[2] أصبح النظر فى المرآة عبادة وهذا دعاء وآخر الدعاء يقول وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. هذا الدعاء لو نظر الإنسان منا فى المرآة ويقوله يستجيب

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة.

(٢) رواه أحمد فى مسنده وابن حبان فى صحيحه وأبى يعلى فى مسنده عن ابن مسعود.

له الله عز وجل. لماذا؟ لأنه لو نظر للمرآة بغير هذا الدعاء ممكن يصاب بالغرور وعندما يغرّ يضرّ فقد ينظر إلى شكله وينظر إلى تقاطيع وجهه أو المرأة تنظر إلى ملامحها وتنظر إلى مفاتنها أو إلى شعرها ثم تظن أنها على شئ وأن هذا يرجع إلى مهارتها أو يرجع إلى شطارتها أو غيره. لكن عندما يذكر الدعاء يعرف أن هذه الخلقة وهذه الصنعة الفضل فيها لله والشكر فيها لله فإنه عز وجل خلقنا كما يريد لا كما نحن نريد ولم يخيّر واحد فينا في ملامحه وتقاطيع وجهه فعندما يبنى المرء بيتاً ليس له مثيل إلى من يرجع الفضل فى بناء هذا البيت لصاحب المال أو البناء ؟ الفضل لا شك للبناء الذى بناه لأن مهارته هى التى صنعت هذا البناء وليس للذى دفع التكلفة والمال. كذلك الفضل يرجع لله عز وجل. فإذا كان الإنسان جميل الصورة فليتذكر قول الله ﴿ **هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء** ﴾ [الآية: ٦، سورة آل عمران] هو الذى صوره وإذا كان جميل العينين يتذكر قول الله عز وجل ﴿ **ألم نجعل له عينين** ﴾ [الآية: ٨، سورة البلد]، وإذا كان جميل الفم واللسان يتذكر قوله سبحانه ﴿ **ولساناً وشفتين** ﴾ [الآية: ٩، سورة البلد]. وهكذا كلما ينظر إلى شئ يعجبه فى صورته يتذكر الخالق فيشكره على ما تفضل به عليه وعلى ما جمله به من كمال الهيئة ومن جمال الصورة فيكون ناسباً لهذه الصورة الجميلة لله عز وجل شاكراً له سبحانه على ما حباه به من جمال الطلعة ومن جمال الحلْية فيسجد بين يدى الله بهذه الصورة البهية التى خلقها وكملها الله عز وجل فيحفظه الله عز وجل من داء العجب ومرض الغرور، ومعظم مشاكل الناس فى هذه الحياة سببها الغرور. ومتى يُصاب المرء بالغرور؟ عندما يعتقد أن هذه الأشياء ملكه وهو الذى صورها وهو الذى صنعها وهو الذى خلقها وهو الذى حسّنها حتى أنك تسمع كثيراً من النساء يتجاوزن الحدود فى ذلك فتقول إحداهن للأخرى مشيرة إلى ابنها

الجميل أو ابنتها الجميلة (أنتم تعرفوا تجيبوا واحدة مثل دى) وهل هم الذين جـــاءوا بها؟ من الذى جاء بها؟ الله عز وجل ومن الذى أعطى؟ الله عز وجـــل، والله عــز وجل هو الذى يعطى وهو الذى يحفظ وهذه مهمة ثانية هو أعطى صحيح لكن لو لـم يحفظ تصير مشكلة كبيرة فقد أعطانى العينين لكن إذا لم يتوكل لى بحفـــظ العينيـــن فإن الضرر سيلحقنى لا مفر وأنا أريد الحفيظ يحفظ لى جمال العينين ويحفـــظ لـــى نور العينين ويحفظ لى بهاء العينين، وكذا فى الأذنين وكذا فى الصورة وكـــذا فـــى العقل وكذا فى كل شئ أعطانى الله عز وجل.

إذن المؤمن عندما ينظر فى الصورة كما كان ﷺ ينظر فـــى المـــرآة ينســـب الفضل والجمال والنعمة والكمال كلها لمن ؟ لله عز وجل، ويفتش بعد ذلك الحســـاب على ايه يارب؟ يا ترى على الصورة؟ لا. لأنه هو الذى صورها. على اللـــون؟ لا. لأنه هو الذى صبغ ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابـــدون** ﴾ [الآية: ١٣٨، سورة البقرة]، هذا اللون والصبغة بضاعته وهى من أول الولادة حتـى الموت وهى تحافظ على نفس النسب التى تظهر بها لونى فلو تغيرت النسب لحظـــة نسرع إلى طبيب الأمراض الجلدية وربما لا يستطيع أن يصنع شيئا.

فهو الذى أعطى جمال الصورة وهو الذى أعطى تناسق اللون حتى يمكن نـــوى إنسانا أسود لكن شكله جميل لماذا ؟ لأن تناسق العلى الكبير أعطى له شكلا جميـــلا، وإنسان أبيض شديد البياض وشكله ليس جميل لماذا؟ تلك أمور يختص بـــها العلـــى الكبير عز وجل. صحيح المعمل فى بطن الأم لكن أين الأم التى تستطيع أن تتحكـــم فى خطوات ذلك المعمل؟ كى نقول لها تقدرى تجيبى واحدة مثـــل دى. مـــن الـــذى يحدد ويتحكم فى المعمل؟ الله عز وجل. والعلم الحديث مع التقدم الذى وصلت إليـــه

الهندسة الوراثية لن يقدر على تغيير فى خلق الله إلا بأمر الله وبتقدير الله وبتدبير الله عز وجل وكل شئ يتدخلون فيه يفسدوه فلا يوجد شئ يتدخل فيه الإنسان ليعارض به أو يغير به خلق الله أو قدرة الله إلا وأفسد. فإذا أراد أن يغير البشرة أو يغير الهيئة أو يغير الصورة يفسدها وهكذا أى شئ يدخل فيه الإنسان ليغير طبيعة الله وتصوير الله وتدبير الله فإنه يفسده لأن الله عز وجل وضع بأنامله الإلهية وأقداره الربانية ومعالمه النورانية وقدراته اللانهائية هذه الهيئات الإنسانية التى تعجز كل المعامل البشرية عن إيجاد شريحة واحدة فى جلد إنسان على الهيئة التى كوّنها الحنان المنان عز وجل. شريحة واحدة لو نقطة واحدة فى جسم إنسان ظاهرة أو باطنة اختلّ فيها مصنع الأنسجة الإلهية وتغيرت عن بقية الإنسان هل تقدر معامل الوجود كله أن تجعلها تتناسب مع بقية المصنع الإلهى مصنع الأنسجة الإلهية. إلا إذا أراد الله وإلا إذا شاء الله عز وجل.

سر جمال صورة البقاء

فالإنسان إذا نظر إلى جمال هيئته وتفصيل صورته فى المرآة يحمد الله أنه جعل لونه مليحاً وشكله مقبولاً وجميلاً وهيئته حسنة ويرفع الأمر إلى الله أن يُحسّن له ما به ينال حسن هذه الصورة يوم لقاء الله عز وجل لأن الصورة ليست دائمة لأنها يوم القيامة تكون الصورة على حساب السريرة الصورة هنا لأنها دار ابتلاء على حسب عطاء الله وتقدير الله وفضل الله عز وجل لكن الهيئة والصورة يوم لقاء الله على حسب سريرة العبد فيما بينه وبين الله ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** ﴾ [الآية: ١٠٦، سورة آل عمران]، ﴿ **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة** ﴾ [الآية: ٦٠، سورة الزمر] الذين يكذبون على الله والذين يكذبون

على رسول الله، والذين يكذبون على أهل الإيمان بالله عز وجل. فهذه خصلة أو هذه بلوى أو هذا وباء انتشر فى عصرنا وهذه هى المصيبة يا إخوانى وهذا الوباء الذى انتشر فى عصرنا هذا ما سببه؟ أى لماذا نكذب؟ أحياناً بسبب حب المال وآونة من أجل إنسان مثلنا لا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا ضراً ولا نفعاً وآونة أخرى لأن الإنسان قد يكون خائفاً من الإحراج، وربما لأن الإنسان يطمع فى شئ دنيوى وقد لا يحصل عليه، وجائز يكذب ويكذب فى سلسلة طويلة من أجل حاجة قليلة وفى النهاية لا ينالها ويظل عليه فى كذبه الذى يعرض به على الله فيسود وجهه يوم لقاء الله عز وجل فالمؤمنين يقولون يارب كما أحسنت هذه الصورة هنا نتضرع إليك أن تكون هذه الصورة جميلة هناك (اللهم كما حسنت خلقى فحسن خُلقى) لماذا؟ لأن الأمر يوم القيامة على الخُلق.

يُبعث الناس يوم القيامة لا على هيئاتهم ولا على صورهم ولا على ألوانهم وإنما على أخلاقهم وعلى أعمالهم يوم لقاء الله عز وجل ﴿ **وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون** ﴾ [الآية: ١٠٧، سورة آل عمران]. ما الذى يبيض وجوهنا هناك؟ قال ﷺ : (تأتى أمتى يوم القيامة غُراً ــ والغرة نور فى أعلى الوجه ــ محجّلين من أثر الوضوء) هذا النور يبقى فى الوجه وفى اليدين وفى الرجلين وفى الذراعين، والنور يبقى على حسب عمل الإنسان لذا فأقلهم يقول فيه ﷺ : (أقل المؤمنين نوراً من يضيئ له نوره إبهام قدميه) أى على قدر أصبعه الأكبر، وهناك من الناس من يضيئ حُسنه لأهل الموقف كما تضيئ الشمس لأهل الدنيا من أين هذا الحسن ؟ من العمل. وأهل النفاق يوم القيامة وجوههم مسودة ﴿ **يوم يقول المنافقين والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم** ﴾ [الآية : ٢٣، سورة الحديد] اعطونا قبساً من نوركم كى نمشى على ضوءكم

فيقولون: ﴿ **قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا** ﴾ [الآية: ١٣، سورة الحديـــد] أى هذا النور جاء من الدنيا لأنه نور الأعمال الصالحة.

ولذا يا إخوانى ينبغى على كل واحد منا أن ينظر إلى النهاية ويطلب من الله أن يتم نوره فيظهره بين يدى حضرة المعبود. وهذا هو الذى فيه الفضـــل يـــوم اللقـــاء المشهود أمام الخلائق أجمعين.

إذا الوجوه خلت من نور سجدتها   لم تستحق غـــداة المـــوت أكفانا

فالوجوه التى خلت من نور السجود ونور الصلاح ونور الوضوء ولـــو كـــانت لواحدة من الإفرنج (أهل الغرب) ملوك الجمال وملكات الجمال لكن عند المـــوت لا تستحق حتى الكفن الذى نكفنها به لأنها ماتت عن ذكر الله. فأصبحت فى نظـــر الله جيفة عفنة ولها عذاب شديد يوم لقاء الله عز وجـــل. والقلـــوب المشـــغولة بالدنيـــا والمشغولة بالمشاكل والمشغولة بالتطلعات والمشغولة بـــالتبرج والمشـــغولة بزينـــة الحياة الدنيا والمشغولة بالتفاخر والتكاثر فى الأموال والأولاد، ونسمع منهم ما نسـمع من الجماعة الجاهلين التفاخر بالأموال والأحساب والأجسام والأنساب.

إذا القلوب خلت من ذكر خالقها   فهى الصخور التى ركبت أبدانا

صارت كالصخور فى الأبدان لأن الفقر يوم القيامة يا إخوانى فـــى الأعمـــال الصالحة والبضاعة الرابحة التى هى الأخلاق الكريمة التى نرجو الله عز وجـــل أن يكرمنا بها وأن يعيننا على إحيائها فى هذا الزمان لأن يوم القيامة ستكون المنـــازل الكريمة لمن ؟ ﴿ **والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون** ﴾ [الآية: ٣٣، سورة الزمر].

الجماعة الصادقين فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم وسلوكهم مع الله ومع رسـول الله ﷺ هؤلاء هم الذين لهم الوجاهة هناك وفى الصداقات ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو** ﴾.

وذلك إذا كانت الصداقة لدنيا أو لمنفعة أو لمأرب أو لمصلحة أما الصداقة الباقية فلمن؟ ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ .

ماذا يقول لهم المولى عز وجل ؟ ﴿ **يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون** ﴾ [الآيتان: ٦٧، ٦٨، سورة الزخرف] أنتم الذين لكم الوجاهة وأنتم الذين لكم الهيئة وأنتم الذين لكم المقام العالى عندنا.

فنسأل الله عز وجل أن يكرمنا بمتابعة سيدنا ومولانا رسول الله وأن يرزقنا الحب الخالص لوجهه الكريم وأن يوفقنا للعمل الخالص الذى ينفعنا يوم لقائه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث

ثناء الصالحين على سيد المرسلين

- صور الحبيب المصطفى.
- الكمال المحمدى.
- سر الحب لله والإيمان.
- بين المحب والمحبوب.
- تفقد الرسول ﷺ لأحبابه.
- صدأ القلوب وعلاجه.

ثناء الصالحين على سيد المرسلين(*)

الحمد لله الذى أكرمنا بالفضل والهدى والنور والفتح والفلاح والنجاح على يــــد الرسول الكريم سيدنا ومولانا محمد باب كل صلاح ومفتـــــاح كـــل نجـــاح ورمـــز الوصول إلى حضرة الفتاح واللغز الذى بفضله يشرق المصباح والكنز الذى إذا فُــكّ بدا على المرء التقى والصلاح والفضل الذى خصنا به من الأزل المنعم الفتاح.

اللهم صلى وسلم وبارك عليه، صلاة تصلنا بنـــوره وتجعلنـــا مـــن أهـــل ودّه وسروره وترزقنا بها معيته وتجعلنا بها فى زمرته وتجعلنا معـــــه ﷺ فـــى الدنيـــا والآخرة فى اليقظة والمنام فى الحل والترحال نحن وإخواننا وأحبابنـــــا والمســـلمين أجمعين.

أما بعد...

فيا إخوانى ويا أحبابى.. تقف العبارات وتنعقد الألسنة إذا كان الحديــــث عـــن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ لأنه ماذا يقول القائلون ومــــاذا يُعـــبّر عـــن معانيـــه المعبرون إلا إذا كان هذا بفيض على قلوبهم من علم الله المكنون فإنه ﷺ لم يطلـــع على حقيقة حالة ولم يراه فى الحقيقة على هيئته أو على مثاله إلا الله عز وجل ومـــا سوى ذلك فالكل يقول على قدره ويبين بما شرح الله عز وجل به صدره وليس علـــى قدر الحقيقة المحمدية والأنوار المصطفوية فكلنا فيها يا إخوانى حمقى إلا إذا علمنـــا العليم عز وجل.

(*) كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٠ من ربيع الأول ١٤١٥هـــ الموافـق ١٨/٨/١٩٩٤م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة بمناسبة ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ .

عجز الورى عن فهم سر محمد لم يـدره إلا الإله القـادر

لا أحد يدريه ولا يدرى شئ من معانية إلا الله عز وجل ويذيق الله عز وجـل قلوب المحبين على قدر ما تتحمل من أنـوار ومعـانى وجمـالات سـيد الأوليـن والآخرين ﷺ ، أما كماله الذاتى وأما جماله الوهبى وأما سره القدسى فهذه أشـياء يتوه فيها حتى الرسل والأنبياء لأنه ﷺ كما قال البوصيرى رضي الله عنه وأرضاه :

وكل آى أتى الرسـل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم

فإن فضل رسول الله ليس له حدّ فيعـرُب عنه ناطـق بفـم

أى لا أحد من الخلق يستطيع أن يُعْرب أو يفصح أو يتكلم عن فضل رسول الله ﷺ ولعلكم تتذكرون أن سيدنا عمر بن الفارض رضى الله عنه وأرضاه الذى تغنـى فى ذات الحق بالقصائد والمواجيد التى تؤجج القلوب والأرواح لما انتقل إلى جـوار ربه رآه أحد الصالحين فى المنام فقال له يا سيدى لقد أكثرت من مناجاة ربك ومـن الثناء على ربك فلم لم تمدح حبيب الله ومصطفاه ﷺ ؟ فرد عليه فى المنام بـهذين البيتين :

أرى كل مدح فى النبى مقصراً وإن بالـغ المثنى عليـه وأكثر

إذا كان الله أثنى بما هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الورى

من الذى عنده المقدرة على الثناء عليه بعد ثناء الله؟ ومن الـذى يسـتطيع أن يمدح بعد مدح الله لحبيب الله ومصطفاه؟ ومن الذى يستطيع أن يصف سيدنا رسـول الله ولو حتى كشف الله عز وجل له الحجب ورآه كما وصفه الله فى كتاب الله؟ وكما تحدث عنه الله فى آيات كتاب الله عز وجل؟ لا أحد أبداً يا إخوانى لكن كـل واحـد من الصالحين والمقربين يعبر عن مضنون حبه لسيد الأولين والآخرين فإذا عبر فلا

يعبر عن الأوصاف المحمدية أو عن الأنوار الأحمدية وإنما يُعبر عن المحبة الذاتية المكنونة فى فؤاده وصدره للحبيب صلوات الله وسلامه عليه ولذلك نعرف مقامات الرجال من توصيفهم لحبيب الله ومصطفاه ﷺ لماذا ؟ لأن كل رجل يعبر على قدر ما عنده من حُب ومن وجد ومن هوى ومن عشق ومن صبوة ومن غرام لسيدنا رسول الله ﷺ فقد قيل لرجل من الصالحين ما رأيك فى ابن الفارض؟ قال عصفور حام حول الحمى ودندن يعنى لم يدخل ولم يرى الجمالات أو الكمالات أو الإشراقات أو التنزلات التى يراها الصالحون والتى يطلع عليها المقربون ومع هذا سموه سلطان العاشقين وكان الناس الذين يسمون عندهم فطنة (سلطان العاشقين) لأن هناك بعد ذلك سلطان العارفين وهناك سلطان المحبين وسلطان الموحدين وسلطان المقربين وسلطان المخلصين وهناك كثير من المقامات فوق ذلك فهو أخذ على قدر الذى كان عنده من العشق والهيام فالذى تأجج فى قلبه من الحب لرسول الله ﷺ عبّر عنه والعشق والهيام الذى عاش فيه لله عز وجل تحدث عنه وتكلم عنه رضى الله عنه وأرضاه، وهذا الذى جعل الإمام أبا العزائم رضى الله عنه وأرضاه يقول : أنا أتكلم على قدرى.

على قدرى أصوغ لك المديحا ... ومدحك صاغه ربى صريحا

ثم يقول أنا من حتى أتحدث عن رسول الله

ومن أنا يا إمام الرسل حتى ... أوفى قدرك السامى شروحاً

إذن عن ماذا تعبر ؟

ولكنى أحبك ملء قلبى ... فأسعد بالوصال فتىً جريحاً

أى أنا أعبر عن الشئ الموجود فى وجدى وفى فؤادى وفى قلبى لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

صور الحبيب المصطفى

إذن يا إخوانى كل ما تحدث عنه المتحدثون من البدء إلى الختام إنما هو تعبير عن شوقهم وغرامهم للمصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام لأنه صلوات الله وسلامه عليه مدحه الله بآيات واضحة وجلية وبيّنه فى القرآن، لم يتكلم عنه بأسلوب الغيبة بل تكلم عنه بأسلوب فصيح وواضح للكل مثل هذه الآية التى سمعناها حيث يقول لنا والذين من قبلنا والذين من بعدنا ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ هل جاء لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاصريهم فقط؟ كلا ولكن كما جاء لهم جاء لنا ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ [الآية: ١٢٨، سورة التوبة] فقد جاء لنا مثلما جاء لأصحابه صلوات الله وسلامه عليه فقد جاء لأصحابه بالصورة المحمدية وجاء لنا بالصورة الأحمدية الروحانية التى تلقى منها الأنبياء والرسل السابقين الصورة المحمدية التى نحتفى بها فى هذه الليلة لذكرى وجودها وظهورها فى عالم الأكوان لكن الصورة الأحمدية برزت قبل خلق الأكوان وأعدها الله عز وجل قبل أن يكون هناك زمان أو مكان وكانت هذه الصورة تطوف حول قدس الحنان المنان عز وجل قبل خلق العرش وقبل خلق الكرسى وقبل خلق القلم وقبل خلق الخلق. قال ﷺ : **(إن الله قدر مقادير كل شئ قبل خلق آدم بخمسين ألف عام)** ومنذ هذه البداية كانت الصورة الأحمدية ولذلك لما جاء سيدنا عيسى يخبر قومه عنه أخبرهم بما رأى وبما عاين وبالصورة التى كان يتلقى منها وهى صورة رسول الله ﷺ الروحانية النورانية

وقال فيها كما أخبر عنه الله ﴿ **ومبشراً برسول يأتى من بعـــدى اســـمه أحمـــد** ﴾ [الآية: ٦، سورة الصف] فاحمد بالصورة الروحانية وبالصورة النورانية التى يتنعـم بها المقربون ويتنعم بها الصالحون كما نعم بها النبيون والمرســـلون قبـل بـــروز الصـــورة المحمدية التى فى عالم الأكوان والصورة التى تكون للكل ويتمتـــع بـــها الكل فى وقت واحـــد ومنهاج واحد وفى حضرة الواحـــد هى الصورة المحموديـــة ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ [الآية: ٧٩، سورة الإسراء] فالكل يحمـــده يعنى يشكره لماذا؟ لمعرفة الفضل الذى تفضل علينا به الله ببركته والفضـــل الـــذى ساقه إلينا الله بعنايته والفضل الذى غمرنا به ببركته فالكل سيكون من البـــدء إلـــى الختام يشكر الله عز وجل على رسول الله ﷺ وهذا هو المقام المحمود الذى يغبطـــه بشأنه الأولون والآخرون على ما خصهم به وببركته الله عز وجل إلى يوم القيامـــة فالصورة الأحمدية موجودة يا إخوانى لا تغيب ولا تختفى ولا تنحرف ولا تتحـــول ولا تتغير ولا تتبدل بل دائماً وأبداً أنوارها فى ازدياد هذه الصورة مستمرة إلى يـــوم الدين وفيها يقول سيدى عبدالقادر الجيلانى رضى الله عنه وأرضاه :

أفلت شموس الأولين وشمسنا ... أبـــداً على فلك العلا لا تغرب

هذه الصورة التى تسمع الصلوات التى نصليها عليه وهى التى تســـمع الســـلام الذى نلقيه فى كل تشهد عليه لأننا نقول له (السلام عليك) ولم نقل السلام على النبـــى ولكن نقول السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته والسلام سنة والـــرد فـــرض وهو ﷺ يقول : **(ما من مسلم يُسلّم علىّ إلا ردّ الله روحى حتى أرد عليه الســـلام)** فلابد أن يرد صلوات الله وسلامه عليه السلام على كل مؤمن وعلى كل مؤمنة يلقـــى عليه السلام كيف؟ من الصورة الأحمدية الكاملة النورانية التى لا تغيب عن أى بقعة

من الكون ولا تنقطع فى أى نفس من الكون بل دائماً وأبداً حية لأنها حية بالله عــز وجل وتسمع بالله وتبصر بالله وترد بلسان حضرة الله عــز وجــل هــذه الصــورة موجودة وقد أعلن الله لنا بهذه الآيات أنه ﷺ معنا فى كل أحوالنا فــى ليلنــا وفــى نهارنا فى سرائنا وفى كوراثنا ومصائبنا وآلامنا حيث قال فيه ﴿ **عزيز عليــه مــا عنتم** ﴾ والعنت يعنى المشقة فكل مشقة نتعرض لها يتأسف هــو عليــها ويحــزن لأجلها، إذا كان ﷺ يتأسف على أحوال الكافرين فكلما يزيد عنــادهم وكلمــا يزيــد كفرهم يحزن عليهم حتى قال له الله اتركهم ﴿ **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً** ﴾ [الآية: ٦، سورة الكهف] فما بالك بمشاعره وأحاسيســه نحو إخوانه المؤمنين. قال الشيخ بعد صلاة العشاء :

الكمال المحمدى

إذا كنت أظهر غيباً هل عندكم تسليم غيبــاً وغيبــاً علياً لم يبده تعــليم

نحن سنتمعن ملياً فى الآية التى سمعناها على حسب ما فتح الله عز وجل بــــه علينا لأننا كلنا والحمد لله حافظين للسيرة النبوية وأحداثها وتواريخها لكنا نريـــد أن نتمتع بالكمالات المحمدية وبالأنوار المصطفوية وهذه مبثوثــة فــى ثنايــا الآيــات القرآنية ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفَسكم** ﴾ وقال فى آية أخرى : ﴿ **ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجاً** ﴾ [الآية: ٢١، سورة الروم] يعنى أزواجنا من أنفســنا وورد بالقراءة الثانية ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنْفَسَكم** ﴾ وهذا يعنى أن النفس فيــها ناحية شهوانية وفيها ناحية جمادية وفيها ناحية حيوانية وهى التى تبحث عن الأكــل والشرب والنكاح وغيره، وفيها لمعة نورانية تبحث عن الله وعن كتــاب الله وعــن رسول الله وهذه النورانية التى فينا من رسول الله ﷺ لكــن الشــهوة التــى فينــا

والغرض منها بقاء سر الحياة ممتداً إلى أن ينفذ أمر الله عز وجل وليست الشهوة للشهوة وإنما لبقاء سر الحياة حتى تمتد الحياة، لكن رسول الله كيف نجده فى صدورنا ونجده فى حاجتنا وذاكرتنا؟ من النورانية التى فينا والتى توجهنا إلى الخير حيث نجد فيها إلهام رسول الله لنا ونجد فيها نور رسول الله يبين لنا ونجد فيها فضل رسول الله يجذبنا إليه ونجد فيها شمائل رسول الله تدفعنا إليه فكأنها إذاعة خاصة تؤثر فى قلوبنا خاصة بالحبيب المحبوب صلوات الله وسلامه عليه وهذا ما عبر عنه رسول الله ﷺ حيث يقول : **(إن الله خلق الخلق فى ظلمه ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور وفق واهتدى ومن لم يصبه ذلك النور ضل وغوى)** رواه البخارى.

سر الحب لله والإيمان

فالهداية التى معنا والتى حوالينا كلها جاءت من النور الذى فينا من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وبمعنى آخر كل واحد آمن بالله ورسوله يكون معنى الإيمان أنه عمل عقد مع شركة كهرباء نور الحنان المنان ليوصلوا له نور النبى العدنان فى القلب وفى الجنان ومن غير هذا النور لا يقدر يروح ولا يجيئ ولا يمشى ولا يتحرك فى طريق الله عز وجل يقدر يمشى فى الدنيا مثل أهل الدنيا لكن لا يستطيع أن يمشى مع المؤمنين، لا يستطيع أن يمشى إلا إذا وصلوا له تياراً من النور من حضرة الرسول ﷺ ولذلك كانوا يغنون ويقولون :

أبداً تحن نفوسنا وقلوبنا ... وحنينها دوماً لأول منزل
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

فالذى يشغل قلبه بحب فلانة أو علانة أو الأموال أو المناصب بكل هذا يضحك عليه وعندما تحضر ساعة الصفاء يعرف أن كل ذلك كان باطلاً لأن الحب لا يكون إلا للحبيب الأول صلوات الله وسلامه عليه فالذى وقع عليه يبقى هذا فضل الله غامره وفضل الله عليه والذى لم يصل إليه يبقى تائه يا إخوانى فى صحراء تتخطبه الشهوات وتتلاطمه الأهواء وهذا يحتاج لعناية من الله عز وجل ليرد إلى فضل الله الذى يقول فيه الله ﴿ **إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** ﴾ [الآية: ٢٩، سورة الأنفال] فقد قال إمامنا أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه :

أحب ما فيك منه لأنه هو المحبوب له لا أنت

أى أنه يحبك لما فيك من رسول الله ﷺ وهذا السبب الذى من أجله اختصنا الله عز وجل بالمحبة فى قوله ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ [الآية: ٥٤، سورة المائدة] فهو الذى أحبنا أولا لأنه وضع فينا سر الحب وزرع الحب ونبات الحب عندما وضع فينا قبسا من نور حبيبة صلوات الله وسلامه عليه حتى لما يجيئ الناس يتحدثون عن الحب ويأتوا بالقصص العجيبة والأحوال الغريبة يقول لهم الله إياكم أن تظنوا أن أحدا من الأولين أو الآخرين سيصل إلى حب واحد عادى أو عامى من جموع المؤمنين ﴿ **والذين آمنوا أشد حبا لله** ﴾ [الآية: ١٦٥، سورة البقرة] فكلما ترى أحدا يحب شيئا حبا جما يملك شغاف قلبه تعلم علم اليقين أنه لم يصل إلى عشر معشار ما يحبه رجل من عوام المؤمنين لله عز وجل فما بالك بأهل الخصوصية؟! ويحكى عنهم سيدنا السرى السقطى رضى الله عنه وأرضاه لتلميذه الجنيد فيقول حكى لى السرى فقال رأيت رب العزة فى النوم وأوقفنى بين يديه وقال يا سرى تعلم من أحبابى وما مقدارهم عندى؟ قال قلت لا يارب قال أنى خلقت الخلق ثم

فتحت عليهم أبواب الدنيا فهرب تسعة أعشارهم إليها ولم يبق إلا العشر ففتحت لــهم وعرضت لهم نعيم الجنة فهرب تسعة أعشار العشر ولــم يبــق إلا عشــر العشــر فسلطت عليهم النار فهرب تسعة أعشار عشر عشر العشر ولم يبق إلا عشر عشــر العشر فسلطت عليهم البلاء فلم يفروا فزدتهم بلاء فلــم يتغــيروا وقــالوا وعزتــك وجلالك لو صببت علينا البلاء صباً ما تحولنا عنك قال فقلت لهم : وما تريـــدون ؟ قالوا لا نريد إلا جمال وجهك فقال أنتم عبادى حقاً وأوليائى صدقاً مــا مبلــغ حــب هؤلاء ؟ لا أحد يقدر أن يصفه ولكن يكفيهم قول الله عز وجل فيهم ولهم ﴿ **يحبـــهم ويحبونه** ﴾.

بين المحب والمحبوب

ومن يريد أن يكون قريباً منهم فعليه بقول الله عز وجل ﴿ **قل إن كنتم تحبــون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ [الآية: ٣١، سورة آل عمران] وإن كان هناك فرق بيــن المنزلتين وبين المطلوبين وبين الطالبين، بين السالكين المجديــن وبيــن المجتبيــن والمصطفين والذين اختارهم من الأزل رب العالمين عز وجل وشتان بين الصنفين.

شــتان بين مطلوب ومن طلــب كالشمس فى الماء تبدو صورة عجباً

هل الشمس الظاهرة فى الأفق كالشمس أثناء ظهورها فى الماء؟ وكذلك الأمــر فالمطلوب من غير سؤال يقول له الله عز وجل ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ [الآيــة: ١، سورة الانشراح] والآخر يدعو بإلحاح ويقول ﴿ **رب اشــرح لــى صــدرى** ﴾ [الآية: ٢٥، سورة طه]. المطلوب يقول له الله ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ [الآيــة: ٢، سورة الانشراح] والطالب يقول أريد وزيراً يساعدنى يكون معــى ويعــاوننى فــى

شئون النبوة وشئون الرسالة أما المطلوب فيقول له أنا وزيرك وأنا أساعدك وأنا ظهيرك وأنا معينك ﴿ **وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين** ﴾ المؤمنين أرقى أم الملائكة ﴿ **والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾ [الآية: ٤، سورة التحريم] فذكر الملائكة بعد صالح المؤمنين لأنهم الأرقى فى الرتبة عند الله عز وجل وهذا كلام الله والترتيب يدل على التقديم لأن هذا تكريم من حضرة الكريم عز وجل وهذا الرسول ﷺ قال لنا عز وجل فى شأنه ﴿ **حريص عليكم** ﴾ وقبل الحرص ﴿ **عزيز عليه ما عنتم** ﴾ أى يحزن لو أن أحدكم أصابه هم أو غم أو نكد حتى قال ﷺ : **(ما من ألم ولا نصب ولا هم ولا شئ يصاب به العبد المؤمن إلا وأجد ألم ذلك عندى)**[1] وفى رواية (حتى لو اشتكى رأسه فإنى أجد ألم ذلك عندى فى رأسى) فعندما يجد المشقة والعنت فى أى أمر من أمور الدنيا والمشقة والعنت لا تكون إلا فى أمور الدنيا يا إخوانى أما طريق الله والسير إلى الله فليس فيه عنت ولا مشقة ﴿ **وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾ [الآية: ٤٥، سورة البقرة] لأن هؤلاء يسهل لهم الله أمرهم ولذتهم عندما يتنعمون بنعيم المناجاة أكثر من لذة أحدنا فى كلامه مع من يحبها من نساء دنياه فالذى يحب امرأة ويتمنى أن يسمع صوتها ويرى أن هذا نعيم كبير نقول له هذا لا يساوى بعض ذرة من نعيم أهل المناجاة وأهل المصافاة مع حضرة الله أو مع رسول الله ﷺ بل إن أحدهم يعبر عن ذلك فيقول :

فنظرة منك يا سؤلى ويا أملى   أشهى على من الدنيا وما فيها

---

[1] رواه البخارى فى صحيحه عن عائشة.

تفقد الرسول ﷺ لأحبابه

نظرة واحدة من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لمن يعرفها ولمن يدركها ولمن يحس بها ويشعر بها أشهى من الدنيا وما فيها أما الخائنون فيقومون وهم معذورون لأنهم لم يذوقوا مثل هذه الأحوال لكن عليهم ألا يتمادوا في العزل واللوم حتى لا يصابوا بما يصيب به الله عز وجل المعترضين على أهل وده وحبه عز وجل حتى كان صلوات الله وسلامه عليه ولا يزال يتفقد أحوال إخوانه في اختلاف الجهات ومع بعد المسافات ويشعر بما يكون عندهم ويصف لأحبابه ولمن حوله أحوالهم فهؤلاء أصحابه يحاربون الروم في بلاد الشام وبينه وبينهم ما يزيد على ٧٠٠ كيلو متر وهو جالس على منبره يصف أحوالهم كمعلق تليفزيوني يصف على الهواء مباشرة فيقول لمن حوله أمسك الراية جعفر، قطعت يده اليمنى فأمسكها بيده اليسرى، قطعت يده اليسرى فأمسكها بعضديه، جاءته حربة في صدره فرأيته يطير في الجنة بجناحيه، أمسك الراية عبدالله بن رواحة وقبل ذلك كان زيد بن حارثة وهم الثلاثة الذين عينهم ثم قال أمسك الراية خالد بن الوليد سيف من سيوف الله عز وجل وفي رواية أخرى سيف الله المسلول يصف الحالة على ما كان عليها كأنه كان معهم ويراهم صلوات الله وسلامه عليه وكذلك النجاشي كم مرة حضر فيها لرسول الله ؟ ولا مرة. كم مرة شاهد فيها وجه رسول الله ﷺ ظاهراً؟ ولا مرة لكن كان صحابي وله قدر عظيم في معية سيدنا ومولانا رسول الله ولذلك في يوم قال الصلاة جامعة فلما اجتمعوا قال مات اليوم أخاكم النجاشي وهيا بنا نصلي عليه صلاة الغائب فقد وضع على سريره الآن بعدما غسلوه وكفنوه فهيا نصلي عليه صلاة الجماعة والنجاشي لم يحضر بجسمه ولا أحد رآه برسمه لكن هذا يعرفنا أن عيناه الشريفتان لا تغيب عن أصحابه طرفة عين وإن كانوا في أقصى البلاد وإن كانوا

فى أبعد مسافات أو فى مختلف الجهات المتفرقات إلا أنه ﷺ يراهم بنور الله الذى أعطاه له الله عز وجل فهو كما قال القائل :

فروحى لم تغب والروح نور تواجه من أحب بنور نورى

فروحه ﷺ حاضرة لا تغيب إلا عن الذى لم يقدر أن يلتقط أمواج سيد الأولين والآخرين لتعطل جهاز استقباله رغم أن إرسال رسول الله موجود فى الفضاء الأثيرى لا ينتهى وليس له وقت محدود ولا زمن معدود لأنه سيد الوجود صلوات الله وسلامه عليه فالذى له جهاز استقبال عطلان هو الذى لا يستطيع أن يستقبل أنوار النبى العدنان ﷺ .

صدأ القلوب وعلاجه

والذى جهاز استقباله عطلان ما الداء الذى سبب له ذلك؟ جاء له صدأ القلوب الذى يأتى من الغفلة عن علام الغيوب عز وجل فطالما القلب عامر بذكر الله فهذا القلب منور بنور الله ومواجه بحبيب الله ومصطفاه ﷺ . ما الذى يجعله يصدأ ؟ الغفلة عن الله والغفلة عن ذكر الله والغفلة عن حبيب الله ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ [الآية: ٢٠١، سورة الأعراف] فالغفلة هى التى تجعله يصدأ وعلاجها دوام ذكر الله عز وجل أما الذى يقطع عنك الأنوار بالكلية فماذا؟ إذا اشتغلت بالدنيا وتركت العناية برسالة الحبيب لأن كل مسلم مطالب بأن يكون له دور مع رسول الله يختار الدور الذى يناسبه لأنه لابد له أن يكون له دور فى مسرحية ﴿ **محمد رسول الله والذين معه** ﴾ [الآية: ٢٩، سورة الفتح] من الذى يؤدى دوراً فى المسرحية فى هذا العصر؟ نحن منّا من تشبه بأبى بكر ومنّا من تشبه بعمر ومنّا من

تشبه بعثمان ومنّا من تشبه بأبى ذر وكل واحد له دوره فلابد لكل مؤمن أن يكـــون له دور ولو حتى معاون أو مساعد لكن الذى يجلس مع المتفرجين فقط فكيف يكــون له راتب نورانى وإيمانى من سيد الأولين والآخرين ﷺ والذى يجلس فى كراســـى المتفرجين ماذا يدفع؟ يدفع نفسه وماله لله حتى يكرمه الله ويدخله فى روض حبيبــه ﷺ ومن معه والذى مع رسول الله أصبح جندياً من جنود الله فلابد أن يتولاه ولابـد أن يكفله ولابد أن يعينه ولابد أن يمده بالأنوار الظاهرة والباطنة والحاجات الظـاهرة والباطنة لماذا؟ لأنه مكلف من قبل رسول الله ﷺ وهذا الذى جعل الصـالحين كـل واحد منهم يكلف نفسه بمهمة فى دين الله لماذا؟ يكفيه شرفاً وفخراً أنه يكــون فــى معية رسول الله ﷺ ويكفيه عزاً وفخراً أنه يكون جندياً من جنود الله ورسوله فـــى هذا الكون، عاملاً بأوامر الله قائماً بسنة حبيب الله ومصطفـاه ﷺ فرســول الله ﷺ يحزن من المشقة التى نتعرض لها إن كانت فى ألم جسمانى أو ألــم نفســانى أو إن كان شيئاً فى بيوتنا أو فى أولادنا أو فى بناتنا أو فى حياتنا يحـــزن رســول الله ﷺ لكن لماذا لم يرفع هذا الأمر إلى الله ودعاؤه مستجاب حتى يرفع الله عنّا ما نزل بنـا لأنه يرى بنور الله أن ما يحدث لنا خير لنا فقد يكون تطهير لذنوبنـــا وقـد يكــون تطهيراً لعيوبنا وقد يكون تكفيراً لسيئاتنا وقد يكون رفعة لدرجاتنا عند الله عز وجــل فيكون على كل الأحوال خيراً لنا ولذلك يقول ﷺ : **(عجباً لأمر المؤمن إن أمـــره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شـــكر فكـــان خـــيراً لـــه وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)**[1] فهو فى تلك الحالتين على خير من الله عـــز وجل لكنى لا أرى ما اختاره الله عز وجل لى على التحـقيق ولو رأيت فقـــد قـــال ﷺ : **(لو كشف الحجاب لاخترتم الواقع)** فأنا لا أرى الخير المناســـب لـــى ولكـــن

---

[1] رواه مسلم فى صحيحه وأحمد فى مسنده عن صهيب الرومى.

رسول الله ﷺ يرى لنا الخير والخير الذى يراه لنا حتى لا نتوه هو الذى يحرص علينا فيه وهو الخير الباقى الذى نأخذه ونحن خارجين من هذه الحياة والخير الذى سيدخره لنا الله والذى سنلقاه يوم لقاء الله عز وجل وإن أكثر الناس نظرهم قاصر فهم يريدون العاجلة لكن رسول الله ﷺ لأنه يحبنا ويحرص علينا فهو يريد لنا الآجلة يريد أن نخرج من الدنيا وقد أكرمنا الله عز وجل بخير زاد يقبل به العباد على الله عز وجل وهو زاد التقوى ولذلك فكل الذى يحرص عليه رسول الله بالنسبة إلينا وبالنسبة لنا هو أمور الآخرة (حريص عليكم) حريص عليكم من الدنيا وأهوائها وشهواتها وحظوظها ولذلك كان يعطى الدنيا للمنافقين ولا يعطيها لخاصة المؤمنين فعندما تجيئ له الأرباح والغنائم فى غزوة حنين لا عد لها ولا حد ستين ألف رأس من الغنم وأربعين ألف رأس من الجمال وعشرة آلاف رأس من البقر غير الذهب والفضة وزعها كلها على المؤمنين الجدد وعلى المنافقين الذين لم يثبت الإيمان فى قلوبهم وترك المهاجرين والأنصار ولم يوزع عليهم قليل أو كثير حتى جاء له واحد من أغنى الأغنياء فى مكة أمية بن خلف وليس محتاجا فأعطاه غنما بين جبلين يعنى تسد الطريق والوادى بين الجبلين حتى أنه أدرك أن هذا ليس من فعل البشر فقال والله ما جادت بهذا نفس ملك إن هى إلا النبوة يعنى الملك عندما يعطى، يعطى بحرص لكن الذى يعطى مثل هذا الجم الغفير من العطاء لا يكون إلا نبى من الأنبياء أو رسول من رسل الله. قال فما زال يعطيه وقد كان أبغض الخلق إليه حتى صار أحب الخلق إليه لأنه يعلم ﷺ أن علاجه فى هذا الأمر وعلاجه فى هذا الشأن. وسوس بعض المنافقين للأنصار والمهاجرين وذهبوا إليهم وقالوا لهم أنتم الذين حاربتم وهم الذين هربوا من أول المعركة وأعطاهم ولم يعطكم فذهبوا إلى رسول الله ﷺ فقال : **(يا معشر الأنصار أطمعتم فى لعاعة من الدنيا [لعاعة**

يعنى شئ لا يُلقى له بال] **أتألف بها قلوب المنافقين وأكلكم إلى قلوبكم المملوءة بحب الله ورسوله)** أى هم مُلئت جيوبهم وأنتم ملئت قلوبكم وعطاء القلوب خير من عطاء الجيوب فالذى يملأ الجيوب ماذا يأخذ منها عند الموت لكن الذى يودع فى القلب هو الذى يظهر ويتضح يوم لقاء حضرة علام الغيوب عز وجل فبين لهم هذه الحقيقة وبينها لنا جميعاً كان يولى على الولايات الجماعة الذين لم يثبت إيمانهم ليثبتهم منهم من يريد أن يكون أميراً ومنهم من يريد أن يكون وزيراً ، ومنهم وأئمة المتقين يعتذر لهم بعذر لطيف مثل أبى ذر يقول له اجعلنى والياً فيقول ﷺ : **(إنك ضعيف وإنها أمانة)** أى أن الولاية تحتاج إلى رجل قوى وأنت رجل رقيق القلب، وكذلك عمه العباس يطلب الولاية فيقول له يا عمّاه **(من طلبها وكلناه إليها وإنا لا نولى هذا الأمر من طلبه)** يعنى يعتذر إليه بعذر لطيف وقد فقه هذا الأمر أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه فرفض أن يولى أصحابه والذين شهدوا غزوة بدر وكان الواحد منهم يسمى بدرياً فلما خاطبوه وكلموه قال كرهت أن يتعجلوا شيئاً مما لهم عند الله عز وجل من الولايات والأموال والدنيا وأردت أن يخرجوا من الدنيا موفور نصيبهم عند الله عز وجل إذن الذى يحبه رسول الله كان يحميه من زخارف الدنيا وحقارة الدنيا وأهواء الدنيا وشهوات الدنيا ليشغله بالله عز وجل والذى يرى أنه يثير الفتن على المؤمنين ويصطنع المشاكل للمؤمنين ويفعل خلافات وقلق بين المؤمنين كان يشغله بالدنيا لكى يبعده عن طابور وساحة المؤمنين لأنه يعرف أن هذا يبعده لكن خاصة أصحابه وكُمّل أصحابه ﷺ كان حريصاً عليهم وحريص على أن يخرجوا من الدنيا بلا ذنوب ولا عيوب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الرابع

الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ لدى الصالحين

- التخلق بأخلاق الرسول ﷺ .
- استحضار أوصاف الحبيب.
- رسالة مكارم الأخلاق.
- أصناف الورثة لحضرته.
- نشر الفضائل المحمدية.
- كيف ننشر الإسلام؟
- سبب حبنا لشيخنا الشيخ محمد على سلامة.

الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ لدى الصالحين(*)

الحمد لله الذى جمعنا على حبّ حبيبه ومصطفاه وملأ قلوبنا بالتعظيم والحب والرغبة الأكيدة فى الوصول إلى أنوار حضرته والطمع فى أن نكون يوم القيامة جميعاً تحت لوائه.

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد واشرح صدورنا جميعاً للعمل بسنته ونوّر أرواحنا بتاج محبته وانظمنا جميعاً فى عقد معيته واجعلنا جميعاً من الجنود العاملين بنصرة شريعته ووفقنا لأن نسير على نهجه وسنته حتى نفرح به فى يقظتنا ومنامنا وحلّنا وترحالنا ودنيانا وآخرتنا نحن وإخواننا والمسلمين أجمعين.

أما بعد..

فيا إخوانى ويا أحبابى بارك الله فيكم جميعاً..

لم نحتفى بميلاد رسول الله ﷺ ؟

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه لخص الإجابة على هذا السؤال فى بيتين :

مولد المصطفى حياة قلوب   شوقها قد نما بداعى الغرام

مولد المصطفى لروحى بشرى   شاهدته فيه بغير لثام

مولد المصطفى يعيش فيه الصالحون فى كل وقت وحين لأنهم يستحضرون دائماً أوصافه النورانية وصفاته القرآنية وأحواله الروحانية صلوات الله وسلامه

(*) كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٤ من ربيع الأول ١٤١٦هـ الموافق ١٠/٨/١٩٩٥م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة بمناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف.

عليه وعندما يحتفلون بمولده صلوات الله وسلامه عليـــه فالســـر فـــى ذلـــك أنـــهم يستحضرون هذه الأوصاف مع التعلق بآداب هذه الخصال ليقوى حبهم للتعلق بـــــها فيكرمهم الله عز وجل فيخلع عليهم شيئاً منها فيقومون بـــــها لأن التخلـــق بـــأخلاق رسول الله ﷺ ليس بالجهاد بقدر ما هو خلع وهبات يتفضل بها الله عز وجل علــــى من ملأ الله قلبه بحب سيد السادات ﷺ .

التخلق بأخلاق الرسول ﷺ

فالذى يريد أن يتخلق بخلق الصدق مثلاً مـــن صفاتـــه الكريمـــة صلـــوات الله وسلامه عليه ماذا يفعل؟ وما الباب الذى يجاهد فيه؟

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ [الآية: ١١٩، ســـورة التوبة] يجالس الصادقين ويكثر من مجالسة الصادقين ليكرمه الله عز وجل ويجعلـــه صادقاً مثل هؤلاء الصادقين ولذلك كنا نجد الصالحين لهم اهتمام عظيم بهذه الأيـــام المباركة أيام ميلاد رسول الله ﷺ فيحرصوا على إحيائها كل ليلة وليس ليلة واحـــدة فى العام خاصة ليالى شهر ربيع بالذات من أول الشهر لماذا؟ ليتذكـــروا أوصـــاف رسول الله وأخلاق رسول الله وأقوال رسول الله ﷺ فيكرمهم الله عز وجل بنفحـــة من هذه الأخلاق المحمدية وهناك رجل من الصالحين وصل إلى الله عز وجل بشـدة تعلقه بميلاد رسول الله ﷺ حتى أنه طوال العام أى مجلس يحضره فـــى قريـــة أو مدينة كان يأمر بقراءة مولد رسول الله ﷺ لماذا؟ لأن قلبه تعلق بهذا المقام العظيـــم هذا الرجل وهو الشيخ عبدالفتاح القاضى ومقره شبلنجة مركز بنها رضى الله عنـــه وأرضاه وهذا فى عصرنا وزماننا الذى نحن فيه كان مجلسه دائماً فـــى أى مكـــان يحييه بقراءة مولد رسول الله ﷺ لماذا؟ لأن أقوى باب يعيننا على طاعة الله فى هذا

الزمان هو استحضارنا الأوصاف المحمدية والأخلاق الأحمدية التـــى كـــان عليـــها رســـول الله ﷺ فالدنيا من بدأها إلى ختامها صراع بين الحق والباطل وأهل الحـــق ما الحق الذى معهم؟ القيم الإلهية والأخلاق الربانية التى توجد فى كتاب الله والتـــى أمر بها الله عز وجل فى قرآنه الكريم وهذه هى بضاعتهم وأهـــل البـــاطل معـــهم الأموال ومعهم المناصب ومعهم الشهوات ومعهم الحظوظ والأهـــواء والأشياء التـــى تميل إليها النفس.

هى النفس للدانى تحنّ وترغب   وللعـــاجل الفانى تميل وتطلب

فدائماً تميل النفس لهذه الأشياء، تميل للشهوات والأهواء والحظوظ والراحـــات والملذات فكان الصالحون يحيون الإثنا عشرة ليلة كلها والإمام أبو العزائم قال لنـــا : [يتعين (أى يجب) على آل العزائم أن يحيوا الإثنا عشرة ليلة الأول من شهر ربيـــع الأول كلها] والذى يريد أن يكرمه الله بالفتح يا إخوانى لا يفتح لنفسه باب الاعتـــذار ﴿ **ولا يؤذن لهم فيعتذرون** ﴾ [الآية: ٣٦، سورة المرسلات] ويعمل حسابه ويستعد قبل هذه الليلة بليالى ويجهز نفسه ويجهز قلبه ويجهز روحه قبل تجهيز ملابسه لأنـــه ذاهب للحبيب ﷺ والحبيب صلوات الله وسلامه عليه كما قيل ما ذكر فى مجلس إلا وحضر وما حضر إلا ولأهل هذا المجلس نظر ولا نظر لأحد من البشر إلا وكســـاه مما جملة الله عز وجل من الأحوال الإلهية والصفات الربانية صلوات الله وســـلامه عليه لأنه كما قال الله فى شأنه : ﴿ **وما هو على الغيب بضنيـــن** ﴾ [الآيـــة: ٢٤، التكوير] ليس بخيل ولكنه كريم ﷺ وكرمه لا يقدر أحد أبدا أن يصفه وقد أشار إلـــى هذا النعت بعض الصالحين فقال :

تعود بسط الكف حتى لو أنه   ثناها لقبض لم تطعه أنامله

ولا تظنوا أن عطاء رسول الله للناس الروحانيين فقط بل عطاءه أكثر للظالمين لأنفسهم فقد قال الله عز وجل لهم ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً** ﴾ [الآية: ٦٤، سوءة النساء] فعطاءه أكبر للظالمين لأنفسهم حتى أن شفاعته يوم القيامة قال فيها : **(شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى)**[1] لأنه كله رحمة وحنان وشفقة وعطف صلوات الله وسلامه عليه.

استحضار أوصاف الحبيب

فالمؤمن فى هذه الأيام على الأقل يخلى البال ولا يجعل على البال إلا حبيب الواحد المتعال ﷺ يكفيه ما يشغله من مشاغل طوال السنة فيشغل البال فى هذه الأيام على الأقل به ﷺ حتى يتعلق به فينام مشغولاً به ويقوم مشغولا به ويجلس يطالع فى سيرته ويقرأ فى أخلاقه ولسانه لا يمل من الصلاة عليه وقلبه دائماً يستحضر أوصافه فهو مشغول دائماً فى هذه الليالى والأيام برسول الله ﷺ هذه ياإخوانى أحوال الصالحين والمتقين فى أيام ميلاد سيد الأولين والآخرين ﷺ ولا شك فى أننا فى هذا الزمان نحتاج إلى رسول الله ﷺ أكثر لأن الفتن ظهرت فى كل زمان وفى كل مكان من أرض الله عز وجل وكثرت وكانت أولاً فى بلاد الكفر فقط ولكنها الآن دخلت بلاد الإسلام وكانت أولاً فى بعض الأماكن من بلاد الإسلام والآن لم تترك بيتاً من بيوت المسلمين إلا وفيها المظهر الذى يظهر الفتن التى تتجدد فى كل نفس من أنفاس هذا العصر. من الذى يعيننا على الخلاص من هذه الفتن؟ لا يوجد غير أحوال وأخلاق رسول الله ﷺ فطالما نحن بعيدون عن أحواله

---

[1] رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن حبان والبيهقى عن أنس بن مالك.

الشريفة ولا نستحضر ذاته البهية على بالنا فليس أمامنا شئ يعيننا علـــى التمسـك بالقيم والمبادئ فى وسط زحام هذه المادة التى طغت على كل شئ لكن المؤمن دائماً أمامه صورة رسول الله ﷺ ويقول له دائماً ﴿ **فإنك بأعيننا** ﴾ [الآية: ٤٨، ســورة الطور] أنت أمام عينى دائماً فكلما يعرض عليه مشهد من مشـــاغل الدنيـا يجـره لأحوال الدنيا وأحوال أهلها المخزية ينظر حال رسول الله عندما كانت تعرض عليـه هذه الأمور ماذا كان يفعل؟ فيتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ فيما أمره به ربـــه فـى قوله : ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنـهم فيه ورزق ربك خير وأبقى** ﴾ [الآية: ١٣١، سورة طه].

رسالة مكارم الأخلاق

باختصار يا إخوانى حتى لا أطيل عليكم سيرة رسول الله ﷺ طويلة ومتشـــعبة وعريضة الجوانب وهناك من يتكلم عن سيرته النورانية وهناك من يتكلم عن سيرته فى الجهاد ومن يتكلم عن سيرته فى العبادات ومن يتكلم عن حياته المنزليـــة ومـــن يتكلم عن معاملته لجيرانه وأحبابه وخلانه وأعداءه أمور لا عدّ لها ولا حدّ لها لكـــن مهمتنا نحن فى هذا الزمان أن نتمسك بالقيم وبالأخلاق التى جاء بها النبى العدنـــان وهذا أصعب الجهاد فى زماننا هذا يسهل عليك أن تقلده فى العبادات لأن هذا بينـــك وبين ربك لكن إعجازه ﷺ فى زمانه لم يكن فى مجال العبادات حيث كـــان أمـــر العبادة حواليهم منتشراً فى الأديرة والصوامع المليئة بالرهبان الذين تركـــوا الدنيـــا مقبلين على الآخرة وعبادة الله عز وجل لكن رسول الله ﷺ وصل بعد مـــا ذُبحـــت القيم وانتهت الفضائل إلا بقية قليلة كانت فى الأمة العربية التى ظهر فيــــها لأن الله عز وجل كان يجهزهم لحمل تلك الرسالة وأداء تلك الأفعال فالمدنية التـــــى كـــانت

حوله الفرس والروم ولم يكن عندهم فضائل ولا قيم ولا أخلاق مع أنـــهم يمتلكـــون الحضارة والمدنية والفنون والأموال والصناعات والمباني وغيرهـــا مـــن أصنـــاف المادة كالزمن الذى نحن فيه فقال صلوات الله وسلامه عليه : **(إنمـــا بعثـــت لأتمـــم مكارم الأخلاق)**[1] وفى رواية : **(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)**[2] ليحضـــر لنـــا الأخلاق الصالحة التى نحتاج لأن نعيدها من جديد فى هذا الزمن الذى نحـــن فيـــه وهذه الأخلاق لا ننقلها من أمريكا أو روسيا لأن هؤلاء القوم قد ذُبحـــت الأخـــلاق والفضيلة عندهم وإنما نأخذها من القوم الذين ينظرون لرسول الله ويطبعـــوا علـــى أنفسهم هذه الأخلاق الكريمة التى جاء بها من عند الله عز وجل فإن الله عز وجـــل كما قال ﷺ : **(يحب من خلقه من كان على خلقه)** فأخلاق الله لما لم يكن أحد فينـــا يستطيع أن يتخلق بها على قدر الله أظهرها الله على يد حبيبه ومصطفاه فى صورته البشرية ولذلك كما قال الرجل الصالح عن رسول الله ﷺ الشيخ أبو الحسن الشـــاذلى رضى الله عنه قال كنت نائما فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام وسمعت قائلا يقـــول إنه بشر وآخر يرد عليه ويقول إنه بشر ليس كالبشر بل ياقوت بين الحجر فاليـــاقوت نوع من الحجر والذهب كذلك حجر لكن ليسا كسائر الأحجار قال فانتبهت من نومى ولسانى يقول (محمد بشر ليس كسائر البشر كالياقوت بين الحجر) فرســـول الله ﷺ أقامه الله عز وجل فى حالة البشرية ليظهر على يديه ما يناسبنا من الأخلاق الإلهيـــة فإذا أردت أن أتخلق باسم الله (العفو) فلن أستطيع أن أصل فيه إلى مقدار عفـــو الله إذا بمن أتشبه؟ بسيدنا رسول الله ﷺ. كيف كان يعفو؟ فإنه كان صورة مـــن العفـــو التى كانت فى سيدنا رسول الله ﷺ ولذلك ما يلفت نظرنا إليه الصالحون رضـــى الله

(١) رواه البيهقى فى سننه والدار وردى عن أبى هريرة.

(٢) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه وأحمد فى مسنده عن أبى هريرة.

عنهم وأرضاهم حيث عبر عن ذلك بعضهم فى قوله : (والله ما أكل ﷺ إلا لنا ولا شرب إلا لنا ولا تزوج إلا لنا ولا نام إلا من أجلنا لكى يعلمنا كيف نأكل وكيف نشرب وكيف نتزوج وكيف ننام حتى نسير على نهجه وهداه ﷺ.

أصناف الورثة لحضرته

فهناك من ينشر لسيرته وهم العلماء وهناك الناشرون لسنته وهم علماء الحديث وهناك الناشرون لهيئته وهم إخواننا الذين تشبهوا بظاهره صلوات الله وسلامه عليه وهناك الناشرون لجهاده وهم الذين يحثون الناس على الجهاد فى سبيل الله عز وجل وهناك الناشرون لقيمه وأخلاقه وفضائله وهم الصادقون فى كل زمان ومكان وهم الذين ينشرون الأخلاق والفضائل والقيم والمثل والمبادئ التى كان عليها صلوات الله وسلامه عليه وكيف ينشرونها؟ باللسان ؟! لا، بالفعال وبالخصال وبالأحوال فى تعاملهم مع الآخرين ولو درسنا ديوان الصالحين من عصر رسول الله ﷺ إلى عصرنا هذا لوجدناهم على هذا الهدى والسمت قائمين وقد سمعت من رجل من الصالحين فى زماننا هذا وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب أنه ذهب لزيارة بعض إخوانه فى بلدة ومعه جمع من الإخوان وكان فى هذه البلدة العلماء وفيها الأولياء وفيها العباد وفيها من يظهرون المحبة وفيها من يصيح فى حلقات الذكر ويظهر تودده وعشقه فلما جلسوا وكل منهم يقول بلسانه وإذا بإمرأة لم تفعل كفعلهم ولم تصنع كصنيعهم ذهبت إلى بيتها وجهزت طعاماً لهؤلاء وأتت به إليهم فقال الرجل لقد سبقت هذه كل هؤلاء الرجال لماذا؟ لأنها تشبهت برسول الله ﷺ وأصحابه الذين قال الله فى شأنهم : ﴿ **يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ والقرار ماذا يارب؟

﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الآية: ٩، سورة الحشر].

نشر الفضائل المحمدية

فعندما يأتى عالم ويتحدث ويملأ المنابر والمحافل بياناً ويتحدث عن الفضائل الإسلامية والأخلاق المحمدية ولا يعرف أحد كيفية الدخول إلى بيته وإذا دخل أحد إلى بيته يجد الشح يطل من كل جنباته فيم يتأسى الناس به؟ بفعله أم بقوله أجيبوا يا إخوانى بفعله أم بقوله ؟ بفعله وهذه هى الأحوال المحمدية التى كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام رضى الله عنهم وأرضاهم فنحن محتاجين على أن ننشر هذه الفضائل بالفعال وليس بالكلام وبالخصال والتخلق بما كان عليه ﷺ وأصحابه الكرام فقد كان الرجل منهم يفتح المدن بفعلة واحدة عملها لله عز وجل أو بخلق واحد قد تخلق به على هدى سيدنا محمد ﷺ وإليكم بيان واحد دخل جيش المسلمين مدينة سمرقند ولم يرسلوا إلى أهلها فى البداية الإنذار المعتاد أن يرسله جيش الإسلام فقد كانوا دائماً ينذرون من يحاربونهم بالإسلام أو الصلح أو الجزية فدخلوا المدينة واستولوا عليها بدون إنذار وأهل المدينة كان قد سبق إليهم ونما إلى علمهم أحوال جيش المسلمين فلما وجدوا أن البلدة قد فتحت على غير الهيئة المتعارف عليها عند المسلمين رفعوا الأمر إلى القاضى (قاضى المسلمين) فتناول القاضى حيثيات القضية ولما تأكد أن جيش المسلمين دخل على غير الهيئة الإسلامية أصدر قرار المحكمة بأن يغادر جيش الإسلام هذه المدينة ويتركها لأهلها فخرج الجيش وترك المدينة فما كان لأهل سمرقند ومن جاورهم إلا أن دخلوا جميعاً فى دين الله أفواجاً رغبة من عند أنفسهم بغير ضرب ولا شدة ولا إكراه ولا حرب وإنما دخلوه رغبة فى هذا الدين الذى نصر المستضعفين على الغزاة الفاتحين.

كيف ننشر الإسلام ؟

هذا هو نظام الإسلام يا إخوانى نظام الإسلام الذى انتشر بـــه الإســـلام الـــذى يأمرنا به وعليه المصطفى ﷺ أن ننشر هذه الفضائل بأنفسنا وأن نبدأ فيها بأنفســـنا وأن نعلم إخواننا هذه الأخلاق الإلهية بأن نبدأ بها أولاً فى أنفسنا ولذلك لا ينفع بيننـــا المداهنة ولا الرياء ولا المخادعة بل لابد أن تكون فعال صادقة تعبر عن هذه النيّات وعن هذه الأحوال لأننـــا نريـــد أن يكون لنا نصيب فى قول الله عز وجل ﴿ **محمد رسول الله والذين معه** ﴾ [الآية: ٩، سورة الفتح] والذين معه فى كل زمان ومكـــان فكل واحد منا يا إخواننا مطالب بأن يكون عارضاً للأزياء المحمديـــة. ومـــا هـــى الأزياء المحمدية؟ الزهد المحمدى والكرم الأحمدى والتواضع النبوى والافتقار إلـــى الله والحب الصادق للصادقين من عباد الله والمواساة فـــى الله والمؤاخـــاة فـــى الله والبذل فى الله والتوادد فى الله والتزاور فى الله والتجالس فى الله وكـــل ذلـــك عـــن صدق ويقين ابتغاء وجه الله عز وجل ولو عرضنا هذه البضاعـــة بصـــدق لالتـــف الوجود كله علواً وسفلاً حولنا لأنه لا مخرج فى هذا الزمان للناس من أزمانـــهم إلا بهذه الأخلاق الإلهية وبهذه المبادئ الربانية وبهذه التعاليم الروحانية التى جـــاء بـــها المصطفى ﷺ لكن الناس وإياك أن تظن أن الناس فيهم غباء لأنه لا يخفى عليـــهم حال إنسان واسمع معى قول القائل :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وهذه هى المشكلة كلها أن الرجل منا ربما لا يدرى العيب الذى فيه مـــع أنـــك تجد أن صبيان المسلمين يعلمون ذلك الخلق فيه لكنهم يدارونه وإن كانوا يشـــعرون ويعرفون جميعا ما به. فالإنسان المؤمن صادق مع نفسه وأمامه صورة حبيـــب الله

وخلفها وبينها صورة أصفياء الله وأحباب الله من صحابة رسول الله والصادقين في كل زمان ومكان.

سبب حبنا لشيخنا الشيخ محمد على سلامة

ونحن جميعاً لم أحببنا هذا الرجل وعاهدناه وعشقناه ومشينا حوله الشيخ محمد على سلامة رضى الله عنه وأرضاه ؟ أمن أجل العلم فقط ؟ كلا، بل من أجل الأوصاف المحمدية والأخلاق الإلهية التى رأيناها فيه ومشينا حوله لأننا أحببنا هذه الأخلاق فنريد جميعاً أن نشتغل فى هذه البضاعة ونعمل فى هذه المعارض المحمدية وكل رجل يريد أن يفتح توكيلاً فى المكان الذى هو فيه ليعرض هذه البضاعة لابد أن يكون صورة صادقة مجملة بأوصاف ﴿ **أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود** ﴾ [الآية: ٢٩، سورة الفتح] والذى يريد أن يشتغل فى هذه البضاعة ما مشكلته؟ لابد أن ينال شيئاً من التعب كأن يسهر فى طاعة الله ولا يعطى نفسه حقها فى النوم ويقدم شيئاً من ماله لربه وأن يكون بيته صورة من بيوت الأنصار مكتوب عليه بالأنوار ﴿ **يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا** ﴾ وأن يكون فى سيره مع إخوانه ونومه مع إخوانه أو سفره مع إخوانه أمام عينيه : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم** ﴾ [الآية: ٩، سورة الحشر] فيؤثر إخوانه بالمكان الطيب فى النوم وباللقمة الهنيئة فى الأكل وهو يفعل ذلك كله ليس تكلفاً لأنه لو فعله تكلفاً كان رياءاً أو مداهنة وليس له أجر عند الله عز وجل وإنما يفعله عن صدق وعن إخلاص ﴿ **ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ [الآية: ٥، سورة البينة] هذه يا إخوانى أوصاف الذين يريدون أن يكونوا عارضين للأزياء المحمدية ونحن

فى هذا الزمان فى أمس الحاجة لتلكم الأخلاق وهذه الأوصاف لأن الناس كلها ملـت من النفاق وكرهت أحوال المجتمع حتى سمعت من أكثر من رجل مـن الصـادقين أنهم فى هذا الزمان يستغيثون بما قال به سيد الأولين والآخرين ﷺ : **(يأتى علـى الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه فيتمنى أن لو كان مكانه)** لماذا؟ لأنه يـرى الذين يحيطون به وقد اتصفوا بالنفاق والرياء والدهاء والخيلاء فى كل مكان والنـاس على هذا ومع هذا يحنون إلى الصدق ولو لم يكن حالهم ويتمنون أن يكونوا من أهـل الأمانة ولو لم تكن بينهم ويتمنون الإخلاص ويحبون مجالسة المخلصين ولو كـانوا ليسوا منهم لأن هذه فطرة الله الذى فطر الله عز وجل الناس عليها وأعظم بلاء فـى هذا الزمان أن القوالين فيه كثير والمتحدثين فيه كثير والناس قد سـئمت الأحـاديث وسئمت ترددادها فى الشرائط وفى الإذاعات ويريدون أن يروا هذه الأحاديث ظـاهرة على هيئات القائلين بها، نريد أن نرى هذه الأوصاف ظاهرة علامات علـى رجـال الله عز وجل الذين نتعشم أننا جميعاً منهم إن شاء الله لأن الناس فى الدنيا والآخـرة فى فقر إلى هذه الأخلاق الحميدة وليس لنا فى الدنيا والآخرة رفعة إلا بهذه الأخـلاق الكاملة أخلاق رسول الله ﷺ وأخلاق أصحابه الكرام رضى الله عنهم وأرضاهم.

نسأل الله عز وجل أن يجملنا بأحوالهم وأن يخلقنا بأخلاقهم وأن يكملنا بصفاتـهم وأن يرزقنا المتابعة لهديهم وأن يوفقنا للسير علـى مناهجـهم وأن يـأخذ بأيدينـا وناصيتنا للسير على منوالهم حتى نكون منهم ومعهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الخامس
رسالة القيم والفضائل

- آداب سماع العلم.
- الغاية من رسالته ﷺ .
- بضاعة الرحمن وبضاعة الشيطان.
- المعركة بين جند الرحمن والنفس والشيطان.
- الجهاد الأكبر.
- لواء الفضيلة.
- أعباء الداعى إلى الله.

رسالة القيم والفضائل(*)

الحمد لله رب العالمين المهيمن على الوجود والذى اصطفـــى للخلائـــق خـــير مولود وأفضل موجود.. اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد ســـدرة منتـــهى علوم الخلائق والذى إليه تنتهى المقامات الإلهية فى القرب لكل قاصد بحر اللطـــائف ومحيط المعانى وسر القرب والتدانى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وكـــل من مشى على منواله أو تمسك بهديه وتكمل بكماله إلى يوم الدين. آمين آمين يـــارب العالمين.

أما بعد..

فيا إخوانى ويا أحبابى فى الله ورسوله بارك الله فيكم أجمعين :

فى الحقيقة الإنسان يتحير إذا كان سيتحدث مع علماء مثلكم لأنهم يعلمون مـــا سنقول بل ربما يتذكرون ما نسيناه فى زحمة المشاغل والمشاكل التى نواجهها فـــى هذه الحياة وهذا إلى أن ما سنقوله قد تكونوا سمعتموه مراراً وتكراراً ولذلـــك فقـــد يجلس البعض بذهن شارد لأنه كلام مُعاد وقد ينصرف البعض بأحاديث جانبية لأنـــه كلام سبق له أن سمعه ولكن أدبنا الصالحين رضى الله عنهم أن نستمع لأى مقـــال ولو كرّر أمامنا فى ألف جلسة على أننا نسمعه لأول مرة وقد جرّبنا ذلـــك فوجدنـــا الخير فى ذلك حتى أننى أحياناً أجلس لصلاة الجمعة فى مجلـــس عـــادى ويكـــون الخطيب عادى وربما يخطب فى ورقة ولكنى لا أجعل همى إلى الخطيـــب وهيئتـــه

(*) كانت هذه المحاضرة فى مسجد الأنـــوار القدسـية بالمهندسـين بالقـاهرة مســاء الخميـس ٢٦/٧/١٩٩٦م الموافق ١١ ربيع الأول ١٤١٧هـ فى ذكرى الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ.

ولا ألفت نظرى إلى ورقته وإنما أركز على معانى الكلام الذى يقوله فأخرج مستفيداً بحمد الله عز وجل سر قوله ﷺ : **(خذوا الحكمة ولو من أفواه المجانين)**(١) فليس كل ما قيل جاء أوانه ولا كل ما جاء أوانه جاء زمانه ولا كل ما جاء زمانه جاء رجاله فنحن جميعاً نتلو كلام الله القرآن الكريم وبعضنا يحفظه عن ظهر قلب ولكن أحياناً يسمع الإنسان الآية وكأنه يسمعها لأول مرة ولا تظنوا أن ذلك لنا فقط بل حتى لأكابر القوم فسيدنا عمر رضى الله عنه وأرضاه لما سمع بانتقال سيدنا رسول الله ﷺ جاء وسيفه على عاتقه وهو يقول : مَنْ قال إن محمداً قد مات قطعت عنقه وإنما ذهب إلى لقاء ربه كما ذهب موسى عندما ترك قومه وسيرجع إلينا مرة أخرى فجاء الصديق وكلام الصديق فيه التثبيت لمن يسمعه رضى الله عنه وأرضاه لأن معه القول الثابت الذى يقول فيه الله : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ [الآية: ٢٧، إبراهيم] كيف يثبتهم بالقول الثابت؟ هيأ لهم الأسباب حتى يسمعوا من صديق أو رجل على قدم الصديق فيثبت حالهم ويقوى يقينهم ويزيد إيمانهم لأنهم يسمعون من الذى أعطاه الله وجمله بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فلما جاء الصديق ووجد القوم وقد أصابهم الفزع سيدنا عثمان أُخرس وسيدنا على أُقعد ولم يستطع النهوض والقيام وغيرهم كذلك خطب فيهم قائلاً : (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت) ثم تلى قول الله عز وجل ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين** ﴾ [الآية: ١٤٤،

---

(١) رواه ابن عباس فى جامع الأحاديث والمراسيل والعسكرى فى الأمثال بلفظ (خذوا الحكمة ممن سمعتموها فإنه قد يقول الحكمة غير الحكيم وتكون الرمية من غير رام).

سورة آل عمران] سيدنا عمر عندما استمع إلى هذه الآية ماذا قال ؟ قـال : كـأننى أسمع هذه الآية لأول مرة مع أنه حافظ للقرآن ويرتل القرآن ولا ينقطع عن تـلاوة القرآن لكن لما جاء أوان هذه الآية وقرأها رجل من أهل العناية حلّت فـى القلـب ونزلت فى موضعها اللائق فى القلب فكانت بالنسبة لوقعها على قلبه أول مرة تـنزل على هذا القلب بمعانيها وحقائقها وتثبيتها الروحانى من الله عز وجل.

آداب سماع العلم

ومن أجل ذلك علمونا أن الإنسان دائماً عندما يسمع أى كلام لأى عـالم مـن العلماء يستقبله على أنه يسمعه لأول مرة لماذا؟ البعض ينشغل باله بالكلام إذا كـان يعرفه وخاصة إذا كان عالماً فعندما يسمع سياق يقول فى نفسه كان من الواجـب أن يقول هنا كذا وكان يجب أن يصلح هذه العبارة وكان يجب أن يذكر اسـم صـاحب هذه الحادثة فيكون مشغولاً بالتعديل ومن هنا يُعدم الانتفاع. لكن الذى يسمع لينتفـع فهو يسمع الكلام وهو يعلم أن ملك الإلهام هو الذى يلهم العلماء العاملين والأوليـاء والصالحين بما يفيد الحاضرين فالذى يأتى دواء قد يكون الدواء تكرر لكن فى هـذه المرة يأتى الشفاء أحياناً أكون عارفاً بالدواء وأحضره من الصيدلية واسـتخدمه ولا يتم الشفاء وبمجرد أن أذهب إلى الطبيب ويكشف على ويعطينى دواء ربمـا يكـون أقل منه فى الجرعة أو فى القوة لكن يأتى الشفاء وهذا أمر الله يا إخوانى فى سـماع دروس العلم كما علمنا عباد الله الصالحين ولذلك يقول الإمام أبو العزائم رضـى الله عنه وأرضاه :

عنى اسمعوا ما تعقلون من الكلام … فالعلم بالرحمن من صافى المُدام

خذ ما صفا لك من إشارة عارف … فالعارفون كلامهم يشفى السقام

ولا يقول أحد من إخواننا الأكابر من العلماء أنا غنى عن مثل هذا الكلام لأنــه ربما يأتى المريض الذى يئس منه الأطباء علاجه فى قرص أسبرين يشــتريها مــن حانوت بقالة وهو مستهتر بها ويقول أنا أشترى العلبة بألف جنيه كيف آخذ أسـبرين؟ ألا يدرى أن هذه أسباب جعلها مسبب الأسباب عز وجل!! فالإنسان عندمــا يجلــس فى مجالس العلم فوراً يغلق مخازن العلم التى معه ويغلق المسجل الداخلى الذى معه (أى حديث النفس) ويفتح شريط جديد من أجل أن يستمع إلى علم طازج نازل مــن عند الحميد المجيد عز وجل فلا يقول هذا الكلام لمن حولى وأنا عالم لا أحتاج إليــه أو يقول أنا بلغت مقام عظيم وأقول أحسن من هذا الكلام على المنابر لأن الأمر كما قلنا يا إخوانى فالشفاء من الله وقد يأتى بأوهى سبب إذا أراد الله عز وجــل فكلنــا والحمد لله حافظين سيرة سيدنا رسول الله ﷺ وبعضنا يكاد يحفظها بأسانيدها عــن ظهر قلب لكن ربنا قال لنا فيها وفــى قصــص الأنبيــاء والصــالحين والأوليــاء والصديقين والمقربين : ﴿ **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألبــاب** ﴾ [الآيــة: ١١١، سورة يوسف] فالمهم أخذ العبرة فى هذه القصة أى عبرة؟ آخذ عــبرة هــذا العام أعمل بها هذا العام عندما أعمل بها ربنا يعطينى عبرة ثانية أعمل بــها الســنة القادمة وليس عبرة واحدة عبر لا يعلمها إلا الله عز وجل لأن معانى كلام الله لا حدّ لها ولا عد لها ولا يستطيع أحد أن يفصّلها كل التفصيل إلا اللطيف الخبير عز وجـل فنحن جميعاً والحمد لله كلنا حافظين السيرة وعارفين كيف ولد ســيدنا رســول الله؟ وكيف كانت حياته وكيف كانت مجاهداته وكيف كانت عباداته لكن أنا آخذ العــبرة لنفسى أولاً فالدرس الذى أقوله هنا أفكر نفسى به وأذكر نفسى به لأستحضر مــهمتى مع رسول الله ﷺ التى كلفنى بها الله عز وجل وإخواننا يتذكــرون الرســالة التــى كلفهم بها الله فى مناصرة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .

سيدنا رسول الله ﷺ باختصار حتى لا نطيل عليكم ولا نتشعب لأن كثرة الكلام ينسى بعضه بعضاً رسالته أريد أن أعرف غايتها فى كلمة واحدة فهو ﷺ قال : **(إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**[1] غايتى أتمم مكارم الأخلاق ومنذ متى تبنى مكارم الأخلاق؟ من أول آدم عليه السلام. فكان كل نبى يأتى ومعه شئ من الأخلاق الإلهية يحاول أن يطبع بها من حوله من أهل الثلّة الإيمانية لأنه من أول آدم ما حدث الخلاف بينه وبين الشيطان فى الجنات نزل آدم مندوباً عن حضرة الرحمن معه توكيل بضاعة الإيمان ونزل الشيطان ومعه بضاعته التى يحارب بها عباد الرحمن وليس لآدم وحده بل من أول آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فأصبح آدم وذريته وأتباعه الذين يمشون ورائه ويتبعونه فى المنهج هؤلاء معهم توكيل بضاعة الرحمن وهم الذين أخذوا التوكيل الذى تمنت الملائكة أن تناله فى كل سماء من سموات الله عز وجل اشرأبت أعناقهم وتاقت نفوسهم وتمنوا جميعاً أن يحصلوا على توكيل ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ [الآية: ٣٠، سورة البقرة].

بضاعة الرحمن وبضاعة الشيطان

فى أى شئ خليفة؟ قال خليفة عنى فى صفاتى ولذلك قال ﷺ : **(إن الله يحب مِنْ خلقه من كان على خلقه)** أى هؤلاء الذين أخذوا صفة عن صفات الله عز وجل كل الكرم والعطف والشفقة والحنان والعفو والجود والرأفة والهداية والحلم والصفح والأمانة وفى كل أخلاق الله وجمال الله وكمالات الله هذه البضاعة عند العبد الذى ورث الخلافة عن آدم وآدم عن الله عز وجل وماذا يفعل الشيطان؟ يريد أن يهدم

(١) رواه البيهقى فى سننه والدرامى عن أبى هريرة.

هذه الكمالات ويريد أن يقضى على هذه البضاعة فمعه الغدر واللؤم والخسة والخيانة والخديعة والبطش والزور والظلم والكذب والبهتان وشهادة الزور والغرور وغيرها من هذه الأصناف التى هى مع الشيطان ومع أذناب وأتباع الشيطان يروجونها ليحاربوا بها عباد الرحمن فى كل مكان متى بدأت شرارة هذه الحرب؟ من ساعة ما اختار الله عز وجل آدم لخلافته ولذلك سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وأرضاه وكان من الذين أخذوا التوكيل فى زمانه عندما سأله من حوله وقالوا لو لم يأكل آدم من الشجرة لمكثنا فى الجنة فقال لهم : ألم تسمعوا كلام الله ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ [الآية: ٣٠، سورة البقرة] لم يقل إنى جاعل فى الجنة فالخلافة كانت لابد أن تتم فى الأرض لأنه قال ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ ولا تجوز فى الجنة لأن الجنة ليست ميدانا للحرب فالذين فى الجنة ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ [الآية: ٦، سورة التحريم]

المعركة بين جند الرحمن والنفس والشيطان

فليس هناك حرب بل ميدان المعركة على هذه الأرض بعدما تتركب الشهوة فى الإنسان ويكون فيه النفس ومعها الروح ومعهم الجسم ومعهم القلب والكل يتصارع على كرسى العرش فالكل يريد أن يكون صاحب هذه الدولة. النفس تريد أن تسيرنى على هواها والقلب يريد أن أمشى على حسب مناه والجسم يريد أن يأخذ شهواته وفقط ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** ﴾ [الآية: ٦٩، سورة النساء] هذه الحرب معى وداخلى وليست خارجى عندما تعرض على معصية تدور

رحى الحرب فى داخلى فالبعض يحض على فعلها والبعض الآخر ينهى عن ذلـــك فالأولون يقولون اعملها وربنا غفور رحيم وبعد ذلك تتوب والآخرون يقولون ربمـــا تموت وأنت تعملها فيحدث الصراع بين الفئتين فإذا كنت مــــهتما بـــالقلب وجنـــوده وأغذيهم بغذاء القرآن وأعطيهم فيتامينات من سنة النبى العدنــــان وأجعلـــهم دائمـــاً يستمعون بخشوع من العلماء الذين قلوبهم تأتى بالثمار العلمية الشهية الطازجة مــــن حضرة الرحمن على الفور يرعون وينتهون عن الغى وعن القبيح أمـــا إذا أهملـــت نبات الإيمان بداخلى فأجعته ومنعت عنه كتاب الله وسنة رسول الله والعلم النافع مـــن الله عز وجل وقويت الجسم وأتيت له بكل ما لذ وطاب فســـينزوى الإيمـــان ولـــن أستطيع أن أتغلب على جنود الشيطان وكلما طلب القلب النصــــرة يجـــد الخســـران والخذلان فأقع فى المعصية وبعد المعصية أرجع وأقول يا تواب يا غفور يا رحيم يا كريم وهو سبحانه وتعالى يفتح الباب لأنه يحب التوابين ويحب المتطهرين لكن الذى لا يتوب ويرى أن الذى يعمله خير والذى يفعله هذا حسن وأنه لم يره أحد لأنـــه لا يرى الله عز وجل فهذا دليل على أن الإيمان عنده مات وغســـلوه وكفنـــوه ودفنـــوه وأصبح يمشى جسماً بغير روح والذى يمشى جســـماً بغير روح من الذى يلبســـه؟ هل أنتم حافظين للقرآن يا إخواننا ؟ ﴿ **ومن يعـــش عن ذكر الرحمن نقيـــض لـــه شيطاناً فهو له قرين** ﴾ [الآية: ٣٦، سورة الزخرف] أصبح معه شيطان ملازم لـــه يسول له ويملى له ويقـــول له العمر ما زال طويلاً وعندما يقـــترب الإنســـان مـــن الموت يتوب ويرجع إلى الله ويستغفر ويندم ويقرب له البعيد ويبعـــد لـــه القريـــب ليغويه ويغريه ويخضع لزينـــة الحياة الدنيا وإغراءات الشيطان هذه الحرب مستمرة إلى متى؟ الشـــيطان عندما حدثت المعركة طلب من الله أن هـــذه المعركـــة تظـــل مستمرة مع آدم ومن يأتى بعده إلى يوم القيامة ﴿ **فانظرنى إلى يوم يبعثـــون قـــال**

فإنك من المنظرين ﴾ [الآيتان: ٧٩، ٨٠، سورة ص] بل بلغ من خسته أن قال لــــه لن أترك منهم أحداً وأقسم بعزة الله ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبـــادك منـــهم المخلصين** ﴾ [الآيتان: ٨٢، ٨٣، سورة ص].

الجهاد الأكبر

إذا هناك حرب دائرة فى الأكوان منذ نزول آدم من الجنان إلى أن تنتهى الدنيـا ومن عليها فى جهة منها جند الرحمن وقادتهم الأنبياء والمرسلين وبعدهـم العلمـاء العاملين والأولياء والصالحين وعدتهم وعتادهم والذين يعينونهم هم عبـاد الرحمـن من المؤمنين وفى الجانب الآخر الشيطان ومعه أهل الكفر وأهـل الشـرك وأهـل الجحود وأهل الأهواء وأهل المعاصى وهؤلاء كثير والحرب دائرة ومستمرة أهـل الله عز وجل مددهم يأتى من السماء وينزل على القلوب فينزل مددهم نور مـن الله وسكينة من الله وطمأنينة من الله وإلهام من الله وعلم وهبى من الله فيثبتهم ويعينـهم على عدوهم الذى قال لهم فيه : ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا** ﴾ [الآيـة: ٦، سورة فاطر] أى فلا تسالموه فى يوم من الأيام ولا تأمنوا مكره وغدره فى نفـس من الأنفاس والشيطان سخر الله عز وجل مع أعوانه الأكوان معهم المـال ومعـهم الزخارف ومعهم المطارف ومعهم الجمال ومعهم الأهواء ومعهم الحظوظ ومعـهم الشهوات فإغراءاتهم تغوى العيون ولا يستطيع أن ينفذ منها إلا من تحصـن بـالله وتمسك بهدى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ هؤلاء يريـدون أن ينشـروا الفضيلـة وهؤلاء يريدون أن ينشروا الرذيلة هذه هى الحرب وللأسف أن الحرب فـى هـذا العصر الذى نحن فيه وصلت فى زحفها إلى صفوف المقاتلين من المسـلمين بـأى شئ نحارب؟ بالصدق، أين هو؟ تسلحنا بسلاح العدو ، أصبح الكذب عدتنا وعتادنـا

والأمانة أين هى ؟ لو أمكن للرجل أن يأخذ الدينار من عين أخيه لفعل فليس مـــهما عنده عين أخيه ولكن المهم هو الدينار أو الدولار أو الجنيه وهذه العصبية التى وقــع فيها كثير من المسلمين لكن لا يقع فيها أنتم لأنكم حملة الرسالة والقـــائمين بالنيابـــة عن سيدنا رسول الله ﷺ بهذه الأمانة. ما الذى حمله لنا وورثه لنا رسول الله ؟ لواء الفضيلة ولا يظن أحد منكم أنه معه لواء الهداية لأن الهداية مع الله ﴿ **إنك لا تـــهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ [الآية: ٥٦، سورة القصص] فالهداية كلـــها من الله.

لواء الفضيلة

وما اللواء الذى نحمله يا إخوانى؟ لواء الفضيلة. ماذا أبيع أنـــا وأنتـــم؟ نحـــن نمشى فى وسط هذا المجتمع نبيع للناس الصدق والمروءة والأمانة والكرم والجـــود والوفاء بالعهد والإخلاص وكل ما جاء به الأنبياء والمرســـلين مـــن بضاعـــة رب العالمين عز وجل والتى هى مبثوثة ومنتشرة فى كتاب الله عز وجل انظـــروا إلـــى المعارض القرآنية التى تعرضها. انظروا إلى هذه اللوحـــات اقـــرأ مثـــلا ﴿ **مـــن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾ [الآيـــة: ٢٣، ســـورة الأحـــزاب] انظروا إلى هذه اللوحة إلى آخرها وغيرها من اللوحات القرآنية نحن الآن كما تـــرى أصبحت الحرب ليست بالسيف أو نواجه بعضنا بعضا بالمدافع أو بالدبابات ولكنـــها حرب فى الأخلاق والمعاملات فالعدو وجنوده يريدون أن يغـــيرونى بـــدلا مـــن أن أكون رجلا صادقا أكون ليس لى كلمة وبدلا من أن أكون أمينا من أجل أن أســـتحق أن أكون أمينا على علم الله وعلى أسرار الله وعلى تقديـــر الله يريـــدون أن أكـــون عندى شئ من الخيانة فالمؤمن فى هذا الزمان يا إخوانى فى حرب دائمـــة ويجـــب

عليه أن يتمسك بالفضائل ولو لم يكن فى الكون كله إلا هو يظل كما هـــو ويتبـدل الزمان أو يتغير لأننى أعلم بأننى عن قريب سوف ألقى الله عز وجل وسيسألنى عـن الأمانة التى كلفنى بها الله عز وجل ماذا أقول له؟ أقول له أن الحاجـــة فـــى الدنيـــا وطلبات الدنيا جعلتنى أغش لأكل وأعيش يقول لى هذا ليس بعذر أو جعلتنى أخـــون فلانا لأعيش يقول لى ليس هذا بعذر لماذا؟ لأنه عندما حملنى رسالة الفضيلـــة قـــال لى أنت تحمل الرسالة والباقى على الله ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للنـــاس تـــأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ [الآية: ١١٠، سورة آل عمران].

أعباء الداعى إلى الله على مولاه

فإذا قمت بهذه الرسالة قال لى توكل على واعتمد على وانظر إلى نبيك كيـــف كان حاله ﷺ كلنا نعرف بأنه كان فقيرا مرة يرعى الغنم ومرة يتاجر للسيدة خديجـة ولما كلفه الله بالرسالة ضمن له قضاء جميع حاجاته ﴿ **ووجدك عـــائلا فـــأغنى** ﴾ [الآية: ٨، سورة الضحى] أغناه الله عن الخلق كيف كان ذلك؟ رجلا من اليهود كـان من أغنى أغنياء اليهود ولم يعقب نسلا (ليس له أولاد) فشرح الله عز وجل صـــدره للإسلام وذهب إلى اليهود وقال يا معشر يهود ما تعلمون عنى؟ قالوا أنـــت خيرنـــا وابن خيرنا وكان فى غزوة بدر قال تعلمون أن محمدا على الحق فاخرجوا لنصرتـه قالوا لا قال : فإنى أشهدكم أنى آمنت به وبرسالته وسأخرج إلى نصرته فـــإذا مـت فمالى كله لمحمد ﷺ وكتب وصيته وخرج وأعطاه لرسول الله ﷺ ودارت المعركـة ولم يكن صلى أو صام ولكنه دخل لنصرة رسول الإسلام ﷺ وفى المعركة استشـهد فأصبح هذا المال لرسول الله ﷺ وأغناه الله حتى لا يحتاج إلى سواه لمـــاذا؟ لأنـــه يقوم بحمل الأمانة التى كلفه بها الله عز وجل فالذى يحمل الرسالة ويمشى بالأمانـــة

لا ينبغى أن يسمع لكلام أعوان الشيطان مثلما نسمع البعض الآن يقولـــون للتـــاجر كيف تبيـــع يا فلان ؟ فيقول أبيع بالصدق والأمانة فيقـــولون أنت بذلك لـــن تعيـــش ولن تأكل أو تشرب إذا لم تغـــش فلن تنفع والحديث يقول من لـــم يتـــذأب تأكلـــه الذئاب من أين أتـــوا بهذا الحديث ؟ وهو ليس بحديث ولكنهم يؤيدون كلامهم لتسـمع لهم ولإغرائهم لكن الله عز وجل وعد بنصرنا فقال ﴿ **وكان حقـــا علينـــا نصـــر المؤمنين** ﴾ [الآية: ٤٧، سورة الروم] ولم يقل المؤمنين مـــع النبـــى فقـــط ولكـــن المؤمنين فى كل زمان ومكان وعد الله عز وجل أن ينصرهم ولا يحوجهم إلى عـداه طرفة عين ولا أقل ما داموا تمسكوا بهدى الله وبشرع الله وبالرسالة التى كلفهم بـــها الله عز وجل إذا رسالتنا يا إخواننا الفضيلة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل السادس

محبة الصالحين لإمام الأنبياء والمرسلين

- باب الفضل وسر الوصول.
- تربيته ﷺ لأصحابه الكرام.
- سر حب الصالحين للرءوف الرحيم.
- جمال المقربين.
- الرحمة التامة.

محبة الصالحين لإمام الأنبياء والمرسلين(*)

الحمد لله الذى ثبت منّا الأسماع والأبصار وملأ قلوبنا بحب النبى المختار والصلاة والسلام على زين المرسلين وغرة الأولين والآخرين والصورة الأكملية التى اختارها الله عز وجل لعباده الصالحين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله شمس عالم الملكوت وسدرة علوم حضرة الحى الذى لا يموت ولسان الحق الذى لا ينطق عن الهوى والمعصوم من البواعث النفسانية والأهواء الإبليسية والذى تولاه مولاه فوالاه وجعله فاتحاً لكل كنوز الفضل والكرم والجود التى أوجدها الله ونسأله عز وجل أن يجعلنا جميعاً من أهل فضله وعطاياه.

أما بعد..

فيا إخوانى ويا أحبابى بارك الله فيكم.. لا أطيل عليكم فإن ليل الصيف قصير ولكن سؤال واحد سأجيب عنه بقدر معلوم حتى لا يطول بنا الأمل والوقت وهو لماذا يهتم الصالحون بمحبة سيدنا رسول الله ﷺ ويعولون عليها ويجعلون لها جانبا عظيما فى كل شئونهم وأحوالهم حتى أنه قل وندر أن تجد رجلا من كبار الصالحين إلا وله آثار مروية فى محبة سيد الأولين والآخرين ﷺ بعضها شعرا وبعضها نثرا، بعضها فى شمائله وأخلاقه وكمالاته وبعضها فى ميلاده وبعضها فى مقاماته وبعضها فى شفاعته وبعضها فى أنواره والأمر كما قال الله عز وجل لنا جميعا فى شأنه صلوات الله وسلامه عليه ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ [الآية: ٣٤،

(*) كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٢ من ربيع الأول ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٧/٧/١٧م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة فى ذكرى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف.

سورة إبراهيم] ونعمة الله لم يقل الله فى الآية وإن تعدوا نعم الله لكنها نعمة واحدة ما هذه النعمة؟ هى التى ذكرنا بها الله فقال ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم** ﴾ فالنعمة التى ألفت بين القلوب ﴿ **فأصبحتم بنعمته إخوانا** ﴾ [الآية: ١٠٣، سورة آل عمران] ما هذه النعمة؟ هو سيدنا رسول الله ﷺ ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله** ﴾ يعنى وإن تعدوا الكمالات التى أعطاها له الله والمقامات التى أنزله فيها الله والعطايا التى حباه بها الله وغيرها من أصناف الجود والكرم الإلهى لا تستطيعوا أن تحصوا عُشر معشار بعض أقداره لأن فضل رسول الله كما قال الإمام البوصيرى رضى الله عنه :

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

باب الفضل وسر الوصول

لم جعل الصالحون أساس سلوكهم وباب فضلهم وبراق رقيهم وسر وصولهم إلى الله هو رسول الله ﷺ لأن الله خلع عليه الكمالات التى يحبها والأخلاق التى يرتضيها وكل أصناف العبادات والعادات والمعاملات التى يجتبيها الله عز وجل من خلقه ويزيديهم ويكافأهم عليها من عنده عز وجل. أيقن الصالحون بهذه الحقيقة فعلموا علم اليقين أنه لا يكون الرجل من الصالحين حتى يتحلى من أخلاقه بأخلاق سيد الأولين والآخرين ولن يلبسهم الله عز وجل ملابس الأضواء الإلهية والحسنى والسعادة الأبدية إلا إذا كانوا متمسكين فى كل أنفاسهم بهدى النبى الكريم ﷺ فمن وصل أخلاقه بأخلاقه وصله الله ومن تمسك فى نفسه بما جُبلت عليه فطرته ونفسه من أخلاقه وعاداته حجبه الله عز وجل لا يسمح له بذرة من الأنوار الربانية ومن هنا أدرك الصالحون أنهم لكى ينالوا المراد من رب العباد لابد أن يتخلوا عن فطر

نفوسهم وعن عاداتهم وعن أخلاقهم ويتجملوا بالجمال الذى ارتضاه الله ويسارعوا إلى الكمال الذى يحبه الله وهو الذى ظهر فى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وكانوا فى ذلك شديدى اللمح واعلموا يا إخوانى علم اليقين أنه لا يشم العبد رائحة الصالحين ولا ينال ما تشتهيه نفسه من أحوال المقربين إلا إذا كان شديد الملاحظة لأحوال سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه فلا يحتاج إلى القول ولا يحتاج إلى الأمر والزجر بل لو تصفحت سيرة الصالحين تجد كثير منهم يقول على سبيل المثال حُبّب إلىّ فعل كذا وكذا ولم أكن قد اطلعت عليه فى كتاب أو سمعته من أحد جبلة وفطرة ثم بعد برهة من الزمن اطلعت فى كتاب كذا فوجدت أن هذا من أحوال الأولياء والصالحين حتى أن الصالحين فى صغرهم تظهر عليهم أنوار التقوى والصلاح فى تصرفاتهم وفى سلوكهم ويلحظها العلماء العاملون والخاشعون والخاشون لله عز وجل بدون معلم لأنهم يلحظون بكل أحوالهم حضرة رسول الله ﷺ فقد كان أئمتنا فى هذا أصحابه رضوان الله عز وجل عليهم.

تربيته ﷺ لأصحابه الكرام

فقد كان ﷺ عندما ينظر بعينه يفقه كل أصحابه ما يريد قبل أن يتفوه بلسانه من شدة الشفافية الباطنية والأنوار الإلهية السارية من هيكله ﷺ إلى بواطنهم وقلوبهم فقد كانوا يعلمون أنه قد جاع ويحتاج إلى الطعام بدون أن يبدى أى شئ أو يظهر عليه أى شئ يلمحون به ذلك حتى أنه كما تعلمون فى الرواية الصحيحة خرج ﷺ ذات يوم فوجد أبا بكر بالباب فقال ما أخرجك فى تلك الساعة؟ قال الجوع يا رسول الله قال وأنا ما أخرجنى إلا الجوع ثم جاء عمر بن الخطاب فقال ما أخرجك فى تلك الساعة يا ابن الخطاب؟ ــ فى وقت القيلولة فى صيف حار ــ قال

الجوع يا رسول الله فاشتركوا جميعاً فى هذا الأمر وإياك أن تظن أنـــه مـــن بـــاب المصادفات وإنما حركة القلوب حركة واحدة فظهر عليهم جميعاً اتحـــاد الأوصـــاف واجتماع المعانى والكمالات لأنهم جميعاً وقفوا على باب الله ووقفوا منتظرين فضـــل الله من رسول الله ﷺ ورسول الله لماذا أحبه الله وأثنى عليه؟ لأنه كان يسارع فيمـــا يحبه مولاه فقد فنى عن حظه وفنى عن نفسه ولم يعد له هم إلا ما يرضى الله ومـــا يحبه الله فأغناه الله بذلك عما سواه حتى قالت له السيدة عائشـــة رضـــى الله عنـــها وأرضاها : (إنى أرى الله يسارع فى هواك) يعنى لا تحتاج إلى شئ إلا ويفعلـــه الله لك بدون طلب لأنه لا يحتاج إلى شئ فى نفسه ولا يفعل شئ عن شـــهوة ولا لحـــظ جلى أو خفى وإنما يشتاق لما يرضى الله ويسارع فيما يحبه الله فقد كان كما قـــال الله عز وجل فى شأنه ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العـــالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ [الآيتان: ١٦٢، ١٦٣، سورة الأنعـــام] فهو أول رجل فى الصف وبقية الصف الذين بعده هم الذين ساروا على نهجه فمـــا أضعف ولا أخر المسلمين فى زماننا ولا قبل زماننا ولا بعد عصرنـــا إلا شـــهوات النفوس وحظوظ الأجسام والآمال الفارغة فى الدنيا الفانية لكن الذين تربـــوا علـــى مائدة رسول الله الأعظم صلوات الله وسلامه عليه من أصحابه المباركين كـــان أول شئ عاهدوه عليه ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفســـهم وأموالـــهم** ﴾ [الآيـــة: ١١١، سورة التوبة] ولم يبدأ بالمال لأن الجهاد الأشد جهاد النفس فقد ينفق الإنســـان المال بإسراف وبدون حد لينال شهوة ترضى نفسه إذن الأساس الأول فى البيـــع أن تكون النفس لله ليس لها أطماع ولا آمال ولا أغراض إلا فى رضا رب العباد عـــز وجل هذا هو الأساس الأول الذى بنى عليـــه أصحـــاب رســـول الله ﷺ إقتدائـــهم ومتابعتهم للحبيب صلوات الله وسلامه عليه ولذلك بعث النبى عمر وأبا بكر جنـــوداً

فى جيش وقائد هذا الجيش عمرو بن العاص وكان قد دخل فى الإسلام حديثاً فلم يتبرم واحد منهم ولم يجد أحد منهم شيئاً فى نفسه أو يشعر بحرج في صدره لأنهم يعلمون أن مرادهم جميعاً فى رضاء الله جنوداً أو قادة هذا شئ لا يهم أما المهم فهو أن يرضى الله عز وجل عنهم ولم ينازعوه حتى فى إمامة الصلاة لأن إمام الجيش هو قائد الجيش مع أنهم أقرأ منه لكتاب الله وأوثق منه قربة عند الله وأعلى منه منزلة ومكانة عند رسول الله ﷺ لكنه صلوات الله وسلامه عليه جرّدهم من هذه الأغراض الفانية وجعلهم كما قال الله عز وجل ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾ [الآية: ٣٧، سورة النور] ولذلك فلم يكن بينهم فتن ولا إحن ولا أحقاد ولا أحساد لأن هذه الأمراض تأتى من المنازعة فى المناصب أو من المنافسة فى المكاسب والرغبات الفانية لكن ما دام الكل اختار الباقية وطلب رضاء الله فلم يختلفوا ؟ ولم يتفرقوا؟ ولم يتحاسدوا ويتباغضوا؟ ليس لهذا الذى ذكرناه شأن عندهم بل هم كما قال الله : ﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين** ﴾ [الآية: ٤٧، سورة الحجر] وإذا تدبرنا فى سيرة أصحاب رسول الله وجدنا فى ذلك الباب الجم الكثير ولكنها تحتاج إلى من يقرأها بتدبر ويعلى مثل هذه المواقف ويقابلها بصفاء قلب ونقاء سريرة.

سر حب الصالحين للرءوف الرحيم

والصالحون كأصحاب النبى الأمين لماذا أحبوا رسول الله ؟ ليس لجمال جسمه وإن كان قد بلغ فيه الكمال وقال فى ذلك سيدنا حسان بن ثابت :

وأجمل منك لم تر قط عينى وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

لكن هذا لم يشغلهم حتى طرفة عين لكن الذى شغلهم الكمال والجمال الذى جمله به الله لماذا؟ لأن مقصدهم كان رضاء الله وكيف يرضون الله؟ إذا بلغوا بعض الكمال وبعض الجمال الذى كان عليه رسول الله ﷺ فأحبوه لما جمله به الله من صفاته الكريمة ومن أخلاقه العظيمة وسارعوا بأنفسهم إلى التخلق بتلك الصفات والتأسى بهذه الكمالات ولذلك كانوا يفتشون فى بطون الكتب عما ذكرناه فلا يهتمون بسيرته فى الأحوال الحربية وغزواته إلا بقدر وإنما كان همهم فى أخلاقه مع الخلق وفى أحواله مع الحق هذا محل نظرهم كيف كان يعامل الخلق؟ وكيف كان حاله فى عباداته وفى مواجهاته وفى مؤانساته وفى ذكره للحق عز وجل؟ هذا كل همهم ومبلغ علمهم وهذه نهاية مطالبهم التى من أجلها بذلوا النفس والنفيس لأن الصورة التى ارتضاها الله وأنبأ عنها فى كتابه الكريم ليست بمفردها بل هذا الكمال وهذا الجمال خلعه الله على أناس أحاطوا به فقال فى شأنهم وشأنه : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه** ﴾ [الآية: ٢٩، سورة الفتح] أى أهل معيته والذين معه ما حالهم مع الخلق؟ ﴿ **أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ وحالهم مع الحق (**تراهم ركعاً سجداً** ﴾ وما طلبهم ؟ ﴿ **يبتغون فضلاً من الله ورضواناً** ﴾ وما مكافأتهم؟ جعل الله لهم نصيباً من الأنوار ومن علوم الواحد القهار ومن فيوضاته التى تجلى بها على قلب النبى المختار وجمعها كلها فى قوله ﴿ **سيماهم فى وجوههم** ﴾ وليست هى العلامة الظاهرة التى فى الوجه لأن الله لم يقل علامتهم بل قال : ﴿ **سيماهم فى وجوههم من أثر السجود** ﴾ [الآية: ٢٩، سورة الفتح] من الذى يعرفهم؟ ﴿ **رجال**

يعرفون كلا بسيماهم ﴾ [الآية: ٤٦، سورة الأعراف] والله قال للنبـــى ﴿ **تعرفـــهم بسيماهم** ﴾ [الآية: ٢٧٣، سورة البقرة] يعنى بالجمال الباقى والجمال القلبى الـــذى جملوا به قلوبهم وبواطنهم لله عز وجل.

جمال المقربين

أناس فهموا من خطاب الله متابعة رسول الله ﷺ فى حركاته الظاهرة فى هيئته وفى لبسه وفى مشيه وفى أكله وفى شربه وفى نومه وهذا شئ طيب لكنه ليس هـــو الذى يصل به المرء لرضاء الله وإنما يصل إلى ثواب الله ومغفرة الله أما من يريـــد الوصول إلى رضاء الله والوصول إلى ما يحبه الله فعليه أن يقبل على نفسه وقـــواه ويجملهم بالجمال الذى جمل به الله حبيبه ﷺ فالقرب جمال الحـــب لجميـــع النـــاس والخشوع لله والتواضع لخلق الله والذل فيما بينه وبين الناس والعزة على الكـــافرين والتواضع للمؤمنين كما أمر الله عز وجل فى قرآنه ﴿ **أذلة على المؤمنين أعـــزة على الكافرين** ﴾ [الآية: ٥٤، سورة المائدة] فالإقبال بصدق والفرار للواحد القـــهار عز وجل لا يتحقق إلا بعد الزهد فى الفانى والفرار من الدنيا وزهرتها وزينتـــها ولا يتحقق ذلك إلا لمن تبع ذلك يعنى الذى يقول أنا فررت إلى الله ولا يملك من حطـــام الدنيا شئ نقول له قولك هذا يحتاج إلى دليل ولا يتحقق الدليل إلا عندما تملك الدنيـــا فى يدك لأنه ربما تتغير نيتك إذا جاءك الغنى لكن الفرار إلى الله لا يتحقق إلا لمـــن فرّ إلى الله مع ما أعطاه الله من الوسعة فى هذه الحياة فيكون عنده ما لـــذّ وطـــاب ويتنعم بالصيام ويحسّ فيه بمتعة يحسده عليها جميع الأنام لأنه يعمله طلباً لمرضـــاة الله عز وجل ويكون عنده الفراش الوثير لكنه يجد متعة أن يترك فراشه ويقف علـــى الأرض يناجى الله بكلامه ويتملق إليه بإنعامه يجد متعة فى صلاة ركعتين فى جوف

الليل أكثر من متعة الآخرين فى التلذذ بالنوم على الفرش والأسرة والأرائك هذه هى المتعة القلبية التى يحس بها الصالحون بعد متابعتهم لسيدنا رسول الله ﷺ فالصالحون يحبون رسول الله لحب الله له لأنه قال ﷺ : **(أحبونى لحب الله عز وجل لى)** والله عز وجل أحبه لما كان عليه من الأدب معه ومن الكمال فى معاملة خلقه فقد كان مع الله لا يرفع بصره إلى السماء حياءاً من الله عز وجل ويقف بين يديه على قدم واحدة قائماً حتى تتورم قدماه من طول القيام وتشفق عليه زوجته وتقول له : ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول : **(أفلا أكون عبداً شكورا)**[1] شُغف به حتى ملك عليه جميع أمره فكان يذكره عز وجل على جميع أحواله إذا مشى وإذا قعد حتى أنه إذا نام من شدة شغفه وحبه لله تنام عينه وقلبه لا ينام فيذكر الله حتى فى نومه من شدة شغله بالله عز وجل لم يهب أحد ولم يخش إلا الفرد الصمد وعرض عليه الكافرون كل ما تشتاق إليه النفس من متع الدنيا وزخارفها وزينتها لكنه رفض ذلك كله طمعاً فى مرضاة ربه عز وجل وعلى هذا الحال يجب أن يكون من يريد أن يكون قريباً ممن يقول للشئ كن فيكون

تعصى الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمرى فى القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

فكان من شدة حبه لله ما وصفته به السيدة عائشة رضى الله عنها حيث قالت : (كان يجلس معنا يحدثنا ونحدثه فإذا استمع إلى الآذان فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه) وليس كمن يزعم أنه يحب الله ولا يستطيع القيام من أمام الفيديو أو التليفزيون ليلبى

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما عن المغيرة بن شعبة وأحمد فى مسنده والترمذى وابن خزيمة عن عائشة.

نداء الله ويدعى مع ذلك أنه يحب رسول الله ﷺ ولذلك قاس الصالحون أحوالهم على أحواله حتى يكونوا على منواله فأعطاهم الله بعض ذرة من محيط كماله ﷺ فأشرق على قلوبهم بأنوار الحبيب صلوات الله وسلامه عليه فأحبوا رسول الله لأنهم عشقوا الجمال الذى جمله به الله مع الله ومع خلق الله سواء مع الأعداء أو مع الأحباء فلو نظرت إليه وإلى أنبياء الله ورسله تجد الكمال كله فى ذاته صلوات الله وسلامه عليه فلم يتعرض واحد منهم بل ولم يتعرض جملتهم إلى ما تعرض لبعضه ﷺ من الإيذاء لكنه لم يدعو على من آذاه كما زعموا بل كان يقول **(اللهم اهدى قومى فإنهم لا يعلمون)**[1] وكلما اشتدوا فى إيذائه كلما اشتد ﷺ فى الشفقة والحنو عليهم ويطالب الحضرة الإلهية بالإقبال عليهم حتى قال الله عز وجل له ﴿ **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث آسفا** ﴾ [الآية: ٦، سورة الكهف] فقد كان يتمنى أن يؤمنوا بأى وسيلة وبأى كيفية من فرط رحمته صلوات الله وسلامه عليه. يأتيه الرجل ومعه جمل فيقول له احمل لى على هذا الجمل مما أتاك الله يا محمد فإنه ليس مالك وليس مال أبيك فيقول ﷺ لأصحابه احملوا له على جمله ويقاد منك يا أعرابى (يعنى سأخذ حقى منك) فيقول لا فيقول ولم؟ فيقول لأنك لا تجزى السيئة بالسيئة وإنما تعفو وتصفح) فيضحك رسول الله ﷺ ويظهر على وجهه البشر صلوات الله وسلامه عليه (لا يزيده جهل الجاهل عليه إلا حلماً) وإذا تصفحنا فى سيرة الصالحين تجدهم على هذا النهج مع الله ومع خلق الله وبطون الكتب مملوءة بمدى حبهم لله وإقبالهم على الله عز وجل حتى كان بعضهم يغيب عن نفسه وعن أهله أياماً كثيرة لا يلتفت إلىَ طعام ولا إلى شراب ولا إلى زوجة شغلاً بالله عز وجل فهذا الإمام أحمد البدوى رضى الله عنه كان يقف فى غار حراء

---

(١) رواه ابن حبان والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعبه عن سهل بن سعد.

وذهب إليه وعاش فيه سبع سنين أسوة بالنبى الأمين ﷺ وكان يقف أمام الغار أربعين يوماً واقفاً لا يأكل ولا يشرب ولا يشتهى شيئاً من ذلك لأنه أخذ بكله مع ربه عز وجل وغيره كثيراً فى هذا المجال أسوة برسول الله ﷺ فكان كفائهم وغذائهم من باب قوله ﷺ **(أبيت عند ربى فيطعمنى ويسقينى)**[1] من يطمع فى هذه الوراثة بغير هذه الكياسة نقول له إنك تطمع فى محال لأن هذا طريق الرجال **﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾** الأسوة الحسنة لمن؟ للذى يريد الله واليوم الآخر والشرط الثالث المهم **(وذكر الله كثيراً)** [الآية: ٢١، سورة الأحزاب]. أما الذى يدعى أنه يحب الله ويرجو فضلى الله لكنه يكسل عن ذكر الله فلا يطمع فى رضاء الله ولا فى عطاء الله ولا فى فضل الله لكن الذى يطمع فى ذلك **﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾** [الآية: ١٩١، سورة آل عمران] لا يشغلهم نفس عن ذكر الله عز وجل لأنهم يتأسوا فى ذلك برسول الله ﷺ فأقبل الصالحون على رسول الله وعاشوا أحواله وجعلوا أخلاقهم على هديه وعلى قدرهم وليس على قدره ﷺ فإنه لم يبلغ قدره أحد صلوات الله وسلامه عليه لا فى الأولين ولا فى الآخرين لكن كل يحاول على قدره بما يشرح الله عز وجل صدره وكلما زاد فى التشبه به قلبياً وخلقياً سواء مع الناس أو مع رب الناس كلما زاد فى المقام عند الله عز وجل لكن من تشبه به ظاهرياً وقضى الليل قائماً يصلى والنهار صائماً وحج كل عام ولم يمش على نهجه مع الله ولا مع الأنام فمثله قوله ﷺ عندما قيل له إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ولكنها تؤذى جيرانها فقال ﷺ **(لا خير فيها هى فى النار)**.

---

[1] رواه اسحاق بن راهويه فى مسنده عن عائشة.

الرحمة التامة

إذن العبرة بالأخلاق الباطنة وبالرحمة التى كان عليها ﷺ للصغير والكبير وللأرملة وللمسكين وللغنى وللفقير وللأمير وللحقير وللمهتدى والضال فقد كان رحمة كما وصفه الله لجميع خلق الله حتى طمعت فى رحمته الحيوانات والجمادات فجاءت إليه الحيوانات تشتكى ممن آذاها فقد جاء جمل يلهث وخلفه أهله ووقف على عنقه برأسه ورغى وأزبد فقال ﷺ لأهله : (إن هذا الجمل يشكو إلى منكم) وهذا الحديث رواه الإمام ابن ماجة والإمام الدارانى فى سننهم رضى الله عنهم قالوا ومم يشكو يا رسول الله؟ قال يقول إنكم ربيتموه عندكم صغير حتى إذا كبر واستسمنتموه فجعلتموه فحلاً وأخرج الله منه لكم نتاجاً كثيراً فلما عجز أردتم ذبحه قالوا لقد صدق فيما قاله يا رسول الله قال فإنه جاء لأئذاً بى فبيعوه لى فقالوا يا رسول الله وهبناه لك فأومأ إليه رسول الله ﷺ أن يمشى حراً طليقاً على وجهه ثم إذا به يرجع ويسجد ويقول ﷺ آمين مرتين ثم تتغرغر عيناه ﷺ بالدموع فسألوه عن سبب ذلك فقال ﷺ : لقد دعا فقال : سكن الله رعب أمتك يوم القيامة كما سكنت رعبى فقلت آمين ثم قال : أمن الله عز وجل أمتك هول يوم الدين كما أمنتنى فقلت : آمين ثم قال : لا جعل الله بأسهم بينهم فاغرورقت عينى بالدموع لأنى قد سألت الله هذه الثلاث فأعطانى الاثنين ولم يعطنى الثالثة وهى (لا جعل الله بأسهم بينهم) وجاءه طائر صغير فقال ﷺ عندما رآها ترفرف عليه بجناحيها (أيكم فجع هذه بأولادها؟) فقال أحد أصحابه : أنا فقال : ردوها عليها فردها إلى مكانها فرجعت والحكايات فى هذا المجال كثيرة فقد كان من فرط رحمته ﷺ يطمع فى رحمته فضلاً عن الجن والإنس الطير والوحش والجمادات وكل شئ فى ملك الله وملكوته وهكذا يا إخوانى الصالحين.

فتشبهوا إذ لم تكونوا مثلهم　　إن التشبه بالرجال فلاح

وعليكم يا إخواني بهدى رسول الله فيما بينه وبين الله اقرأوه وعوه ثم اعملوا به على قدركم واعتذروا لله كما نعتذر جميعاً من ضعفنا وتقصيرنا فإننا لا نستطيع مهما أوتينا من قوة أن نقدم لله عز وجل شيئاً ولو قليلاً جداً من بعض ما أنعم الله عز وجل علينا من نعمه الجميلة شكراً له عز وجل على هذه النعمة لكن كما كان أصحاب النبي وكما أثنى عليهم الله ﴿ **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ [الآيتان: ١٧، ١٨، سورة الذاريات] مم يستغفرون؟ يستغفرون من التقصير الذي رأوه في عبادتهم لله وفي طاعتهم لله عز وجل وهذا حال الصالحون فتجدهم جميعاً مهما بلغ أحدهم من رقي ومن علو ومن صفاء في نهاية ذلك كله يقولون كما قال الإمام البوصيري رضي الله عنه :

أمرتك الخير لكن ما ائتمرتُ به　　وما استقمت فما قولي لك استقم

يرون أنفسهم مقصرين ويرون أنفسهم لم يقدموا لله عز وجل قليلاً ولا كثيراً إذا حاسبهم بعد له وإذا وزن أعمالهم بميزان الإخلاص وإذا حاسبهم على نعمه لكنه إذا تفضل وعاملهم بفضله فإن القليل يكون عنده كثير فلا يغترون ولا بأنفسهم يعجبون ولا يتيهون فخراً ولا دلالاً على غيرهم بعباداتهم وبصالحاتهم وإنما يرون أنفسهم دائماً مقصرين لأنهم كما قلت يا إخواني يتشبهون بصفات النبي صلوات الله وسلامه عليه ﴿ **لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾ [الآية: ٦١، سورة الصافات] وعلى هذا النهج سار الصالحون ولذلك أحببنا الصالحين حتى نرى كيفية تطبيقهم لأحوال وأخلاق سيد الأولين والآخرين ﷺ والكرامات التي تصحب أهل الصلاح والتقوى في كل وقت وحين هي صبرهم على إيذاء الخلق وتحملهم لأذاهم وعدم الرد عليهم

بمثلهم فليست الكرامة أن تطير فى الهواء فإن الطير يطير فى الهواء ولا أن تمشـــى على الماء فإن السمك يغوص فى الماء ولا أن تمشى فى خطوة من المشـــرق إلـــى المغرب فإن الجن يصنع ذلك ولكن الكرامة أن تغير خُلقاً سيئاً فيك بخلق حسن تلـــك كرامة الصالحين والتى قالوا فيها الاستقامة خير من ألف كرامة.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الاستقامة وأن يشرق على قلوبنا بأنوار الحبيـــب المصطفى وأن يجعله نوراً لنا فى قلوبنا وأنيساً لنا فى قبورنا ومثبتاً لنا عند ســـؤالنا وشفيعاً لنا عند حشرنا وأن يجعلنا من رفقائه فى جنات النعيم وأن يكرمنـــا بحســـن متابعته وأن يتفضل علينا بأحواله العالية وأخلاقه الراقية ومنازلاته السامية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل السابع

الحقيقة المحمدية

- صورته الظاهرة وأسراره الباطنة.
- مراتب صوته ﷺ .
- عين القلب.

الحقيقة المحمدية(*)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين والذى جعله الله سراجاً لقلوبنا ونوراً لأبصارنا وضياءاً لأرواحنا وشفيعاً لنا يوم الدين عند ربنا. اللهم صلى وسلم وبارك عليه صلاة ترفع بها الحجب التى بيننا وبينه حتى ينكشف لنا جمال حقيقته وبهاء طلعته ونصير من المتمتعين بجمال قربه ومودته نحن وإخواننا أين كانوا وكيف كانوا آمين يارب العالمين.

أما بعد..

فيا إخوانى ويا أحبابى بارك الله عز وجل فيكم أجمعين..

فى الحقيقة لما نحتفى بسيدنا رسول الله ﷺ فنحن نحتفى بأرواحنا وقلوبنا والحياة الإيمانية التى منّ بها علينا الله عز وجل فنحن جميعاً بنا حياة إيمانية وهذه الحياة فضل تفضل علينا به الله عز وجل. ما الذى بعث هذه الحياة فى نفوسنا؟ وما الذى نشرها فى قلوبنا؟ وما الذى جعل لواعج الشوق والغرام لطاعة الله وعبادة الله وفعل الخير الذى أمر به الله تنبعث فى نفوسنا ؟! سر هذا وسببه هو قول الله عز وجل ﴿ **لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ [الآية: ١٦٤، سورة آل عمران] إذاً نحن من غير نور الحكمة ونور البيان ونور

(*) كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٥ من ربيع الأول ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٧/٩م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة بمناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف.

الإيمان ونـــور القرآن والســـبب فيها جميـــعاً نور النبى العـــدنان ﷺ نكون كمـــــا قال القائل :

ومن قبل كنا ظلاماً وجهلاً فصرنا بطه رجالاً فحولاً

وحقيقة هذا البيان لن تظهر إلا يوم لقاء الرحمن عز وجل عيانـــاً فكثـــير مـــن الناس يعتقدون فى الدنيا أن الرجل بطوله وعرضه وماله وحســـبه ونســـبه وهـــذه صورة باهتة يراها كل الناس فالمسلم وغير المسلم يرى هذه الصورة لكن الإنســـان الذى بلغ مقام الرجال عند الله ليس بمظهره ولكن بجوهـــره فـــالذين رأوا الصـــورة البشرية حجبوا عن الحقيقة المحمدية ولذلك ربنا يحكى عنهم لما أخـــبرهم رســـولنا صلوات الله وسلامه عليه بما جاء به من عند الله من الهداية ماذا قالوا ؟ ﴿ **أبشـــراً منا واحداً نتبعه** ﴾ [الآية: ٢٤، سورة القمر] واحد مثلنا نتبعه ونمشى وراءه مـــاذا تريدون؟ نريد رجلاً معه هيبة أو مال أو معه جاه أو منصب هذه النظرة القـــاصرة التى نظرها الكافرون والكافرون الذين فى زماننا كالكافرين الذين كانوا فـــى زمنـــه صلوات الله وسلامه عليه ينظرون نفس النظرة ويكررون قولهم ﴿ **وقالوا مال هـــذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق** ﴾ [الآية: ٧، سورة الفرقـــان] أى هـــذا النبى بشر مثلنا يأكل مثلنا ويشرب مثلنا ويذهب إلى السوق ويبيع ويشـــترى مثلنـــا وهذا هو الحجاب الذى حجب الكافرين عن نور رسول الله ولذلك قال الله عز وجـــل ناعياً عليهم هذه النظرة القاصرة ﴿ **وتراهم ينظرون إليـــك وهـــم لا يبصـــرون** ﴾ [الآية: ١٩٨، سورة الأعراف] فلم يروا المعنى والكمال الذى هو به نبيـــاً للواحـــد المتعال عز وجل ولذلك عندما مدحه ربنا بماذا مدحه ؟

صورته الظاهرة وأسرارها الباطنة

سيدنا رسول الله ﷺ كان ولا يزال له من الصور الظاهرة والباطنة ما لا عــد له ولا حصر له لكنه مجملاً فيه صورة ظاهرة يراها الكل البعض يراها على الهيئة الآدمية والبعض يراها منبلجاً فيها الحقيقة المحمدية والبعض يرى إنساناً عادياً يــأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ويروح ويجيئ وهو ﷺ الذى جنن الكل لأنه كما قــال ﷺ : **(أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولــهم)** فمــع الكــافرين والجــاحدين والمبعدين يستر المعانى الروحانية والأنوار الربانية ويكتفى ببيان الإنــذار لــهؤلاء الكفار. لماذا؟ من أجل أن يقيم عليهم الحجة لكن أصحابه ﷺ كانوا يرونه فى هيئــة أخرى والكلام هو الكلام لكن الفارق بين من يرى بعين البصيرة ومن يــرى بعيــن البصر فمن رأى بعين البصر يقول ﴿ **إن هذا إلا قول البشر** ﴾ [الآية: ٢٥، ســورة المدثر] والذى رأى بعين البصيرة يقول **(كان إذا تكلم خرج النور من بيــن ثنايــاه)** ماذا يرى هذا؟ وماذا يرى ذلك؟ وهو ﷺ عندما كان يتكلم معهم لم يكــن جــهورى الصوت ولكن كان صوته مثل خلقته مثل هيئته مثل بعثته مثل ديانتــه مثــل كمــال حالاته هو النموذج الأفضل فى جميع الأوصاف والكمالات فلا يوجد صــورة فــى الأولين والآخرين أجمل ولا أكمل من صورته صلــوات الله وســلامه عليــه فــى التقاطيع والملامح والبهجة والله عز وجل اختار له الوسطية فى كــل شــئ فليــس صوته مرتفع جداً ولا منخفض جداً ولكنه وسط وكذلك جســمه ليــس طويــلاً ولا قصيراً ولكنه مربوع أما لونه فلا هو أسمر ولا هو أبيض شديد البياض بل بياضــه كان مشرباً بحمرة وهكذا قس على ذلك فى جميع الأمــور فقــد أعطــاه الله أكمــل الأوصاف وأكمل التصويرات حتى الظاهرة حتى قال فيه سيدنا حســان بــن ثــابت رضى الله عنه :

وأجمل منك لم تر قط عينى وأكمل منك لم تلد النساء
خُلقت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خُلقت كما تشاء

يعنى إن شئت قل لو اجتمعت حكمة الحكماء وعقل العقلاء وذكاء العلماء والأطباء وغيرهم من ذوى الشأن أن يصنعوا صورة ظاهرية تكون أكمل صورة من بنى الإنسان من بدء البدء إلى نهاية النهايات فهى صورة نبيكم صلوات الله وسلامه عليه لكن هذا الجمال وهذا الكمال لا يطلع عليه إلا من أراد الله عز وجل به الوصال بنبينا صلوات الله وسلامه عليه فالكل يرى الظاهر والعبرة من الظاهر والعبرة من هذه المعانى الباطنة التى منحها الله عز وجل له هى المقصد الذى كان يهتم به العارفون فالمداحون كانوا يهتمون بالأوصاف الظاهرة فيقولون عن حضرته أنه كحيل العينين أحمر الخدين لكن ما لنا نحن وما لهذا الكلام ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا** ﴾ أما العارفون فيرون شاهداً صورة ومبشراً صورة ونذيراً صورة أخرى ﴿ **وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا** ﴾ [الآيتان: ٤٦، ٤٧، سورة الأحزاب] وهذه صورة ثانية اسمها داعياً إلى الله بإذنه وصورة ثانية اسمها وسراجاً منيرا هذا هو الشاهد الذى يتعبد به هؤلاء الذين يواجهون الشاشة المحمدية فالأعمى عندما يقف أمام التليفزيون ماذا يرى؟ لا يرى أى شئ فالشاشة تعمل أمامه ولكنه لا يرى شيئاً لأن الله هو الذى قال ذلك ﴿ **وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون** ﴾ لأن عين البصيرة عمياء لا ترى إلا الصورة الظاهرة لكن المؤمن يرى النور الخارج من بين ثناياه وهل المرء عندما يتكلم نجد هذا الكلام له نور؟ نعم سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه يقول (كل كلام يخرج وعليه كسوة من نور القلب الذى خرج منه) فليست العبرة للذى يسمع كالعبرة فى الذى يرى نور هذا الكلام فهم وصلوا إلى درجة من الشفافية جعلتهم يرون نور كلامه عند حديثه

صلوات الله وسلامه عليه أى أنهم لا يتمتعون من حضرته بالسماع فقط ولكنهم يسمعون ويرون نور كلامه صلوات الله وسلامه عليه.

مراتب صوته ﷺ

وهناك فارق آخر هو أن الكلام الذى يتكلمه ﷺ مع الكافرين كان لإقامة الحجج والبراهين وكله بالقرآن من أجل أن ينتهوا عن عبادة الأصنام ويعبدوا الله عز وجل لكن عندما وصل مع أصحابه إلى مراتب الرقى لم يحتاج إلى انهم يرونه ولذلك كان ﷺ إذا تحدث تسمعه العذارى فى خدورهن يعنى البنات العذارى التى لم تتزوج تسمع حديث رسول الله وهى جالسة فى بيتها كيف يصل صوته إليهم مع أنهم فى البيوت داخل المدينة وهو فى المسجد حتى أن سيدنا عبدالله بن رواحة كان فى قبيلة بنى سالم بن عوف وهو واقف سمع رسول الله ﷺ على المنبر يقول : اجلسوا فجلس وعندما انتهى ﷺ من حديثه وخرج رأوه جالساً فقالوا له لماذا أنت جالس ها هنا؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول اجلسوا فجلست ولم أسمعه يقول قوموا. انظروا كيف سمع الصوت من مسافة بعيدة قرابة ٢ كيلو متر تقريباً وكذلك فى خطبة الوداع كان معه مائة ألف ينتشرون فى كل أرجاء منى ومسافة منى تزيد على ٥ كيلو متر تقريباً منهم من كان ساكناً على أعلى الجبل وكان من طبيعة العرب أن يبتعدوا عن بعضهم فى السكن وموزعين فى منى كلها قال سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه خطبنا رسول الله ﷺ فى منى فأخذ الله بأسماعنا حتى سمعناه جميعاً ونحن فى رحالنا فكان كل واحد منهم فى مكانه وقد وصلهم صوت رسول الله ﷺ مع أنه لم تكن توجد أجهزة توصل الصوت لمسافة ٥ كيلو متر فى هذا الوقت والإعجاز لأهل التسليم من المؤمنين والمؤمنات هو الذى جعلهم يستمعون

إلى الأصوات رضى الله عنهم وأرضاهم إذاً الحالات التى رأوها فى هذا الصوت هل رآها الكافرين؟ لا بل إن الكافرين أكثر من ذلك كانوا جالسين أمام بيته وهم من خيار الشباب صحة وفتوة وكانوا يتكلمون مع بعضهم فيقول أحدهم محمد يزعم أنه يأخذ جنان بلاد العراق وجنان بلاد الشام وأن ملك كسرى وقيصر سيكون من بين مملكته وكانوا يتحدثون مع بعضهم فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال نعم أنا أقول هذا وأخذ حفنة من التراب ووضعها على رءوسهم واحداً واحداً وهم فى تمام اليقظة وفى أشد الصحو ولا يحسون به وهو يقرأ ﴿ **يس والقرآن الحكيم** ﴾ وبصوت عال وليس فى سره وهم لا يسمعونه كيف يسمعون كلام بعضهم ولم يسمعوا كلام سيد الأولين والآخرين ﷺ وأقول ذلك للذين لم يأخذوا بالهم ويقولون عنه أنه بشر مثلنا فحتى فى صورته البشرية ﷺ كان فيها درجات من النقاء والصفاء لا تظهر إلا لأهل الكشف والاصطفاء أما أهل البعد والجفاء فلا يرون منه ﷺ إلا ما يراه نظرهم القاصر ويطلع عليه عقلهم الكاسد فله صورة ظاهرية نحن جميعاً محتاجين أن نتمعن فيها مثلما قلنا الآن فى أوصافه الظاهرية لأنه عندما تمعن الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه فى ذلك قال :

حبى لمبناك هيمنى وأرقنى فكيف إذا ما أشرق المعنى

فعندما يتمعن المرء ليميل إلى هذه الصورة الإلهية ونحن مأمورون من الله عز وجل أن لا يكون شئ أغلى ولا أعز ولا أرقى ولا أحب إلينا من ذاته صلوات الله وسلامه عليه كيف نحبه؟ عندما نعرف فيه هذه الكمالات ونتمعن فى شئ من هذه الأوصاف الفاضلات فالكمال لرسل الله وأنبياء الله وكمال الكمال لسيدنا ومولانا حبيب الله وصفى الله ﷺ فعندما نرى أوصاف الأنبياء نرى ذرة من كماله لكن

كماله هو فريد ليس له مثيل وإليه الإشارة فى محكم التنزيل ﴿ **ألـــم يجـــدك يتيمـــاً فأوى** ﴾ [الآية: ٦، سورة الضحى] فنقول هذه درة يتيمة يعنى ليس لـــها مثيـــل ولا نظير وهو ﷺ يتيماً أى فريداً فى جماله وكمالـــه ونعوتـــه وصفاتـــه صلـــوات الله وسلامه عليه هذه الأوصاف هى التى جذبت أصحاب رسول الله ﷺ وهـــى التـــى جعلتهم يلتفون حوله ولا يودون أن يفارقونه صلوات الله وسلامه عليه طرفة عيـــن ولا اقل ونحن مطالبون بأن نعرف ولو لمحة من هذه الصورة حتـــى علـــى الأقـــل عندما نأتى هناك فى يوم الدين كيف نعرفه؟ لابد أن نكون رأينا ولو لمحة من معنـــاه أو وميضاً من نور مبناه صلوات الله وسلامه عليه صحيح أنه هناك يكـــون نـــوره واضح ولكن لمن؟ ﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نـــور** ﴾ [الآيـــة: ٤٠، سورة النور] لأن الذين رأوا هذا النور من الأول لا يبحثون عنه مرة أخـــرى فـــلا يذهبون إلى آدم يطلبون منه أن ينقذهم من أهوال الموقف الذى نحن فيه أو يذهبـــون إلى نوح أو يذهبون إلى إبراهيم أو يذهبون لعيسى ولموسى. بل يقولون مثلما قـــال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه :

أهـــذا الأصـــل يا ويحى　　　فما لى كـــنت ســـواحاً

اللهم صلى وسلم وبارك على الأصل الذى تفرعت منه جميع الأصول وليـــس جميع الفروع لأنه أصل الأصول، والفروع فروع لأصوله صلـــوات الله وســـلامه عليه والأصول الأنبياء والرسل السابقين والورثة وكمل الأولياء اللاحقين هذه هـــى الأصول التى تفرعت عن أصل الأصول ﷺ فالذى يخرج من الدنيا يا إخوانى ولـــم يمتع عين بصيرته وعين سريرته بنور حبيب الله وجميل طلعة صفى الله مـــاذا رأى فى هذه الدنيا؟ ولو كان لف الوجود كله ماذا رأى؟ زهرة الحياة الدنيا لكن لابد لكـــل

فرد أن يحاول ونحن فى أيام الفضل قدر الاستطاعة أن لا يخرج من الدنيا إلا بعد أن يرى لمحة أو شعاعاً أو إشعاعاً أو قبساً من نور سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وهذا النور ليس من شرطه الحضور حول جسده الشريف ﷺ لأنه كان هناك أناس حول رسول الله ولم يروه وأويس القرنى كان فى اليمن ورآه وتمتع به وتملى به لماذا؟ لأنه عشق الجمالات والكمالات فجاهد لإصلاح جهاز الاستقبال الروحانى فى القلب فما زال يصفيه وينقيه ويرقيه إلى أن أشرق نور الحبيب ﷺ بذاته له فيه.

فذاتك النور نالت من لطافتها ما دونه وقفت ذات الملائكة

عين القلب

إذاً يا إخوانى فالصورة المحمدية عندما نطالعها ونتمعن فى كمالاتها الوهبية الإلهية التى أعطاها له الله عز وجل نجد أن عينه فى الوصف العادى لها مثل عين الرأس لجميع الناس ولكن هل عين الرأس تستطيع أن ترى بها من هو خلفك؟ وكيف تراه؟ فكان ﷺ يقف فى الصلاة وبعد الصلاة يحدث أصحابه بما رآه منهم فى الصلاة فيقولون يا رسول الله كيف ترانا ونحن خلفك؟ فيقول ﷺ : (إنى أرى من خلفى كما أرى من فى الأمام) وكان فى المدينة والجيش فى تبوك وهو جالس فى مسجده الشريف وأصحابه بين يديه يقول لهم أمسك بالراية الآن زيد بن ثابت قطعت ذراعه اليمنى فأمسكها بذراعه اليسرى. قتل زيد بن ثابت وأخذ الراية جعفر ابن أبى طالب، قطعت ذراعه اليمنى فأخذها باليسرى قطعت ذراعه اليسرى فأمسكها بعضديه أرى جعفر يطير فى الجنة بجناحيه وأخذ الراية عبد الله بن رواحة ممكن يقول أهل العقول هو يعرف ذلك لأنه قال لهم القائد زيد بن ثابت فإن استشهد فجعفر بن أبى طالب فإن استشهد فعبد الله بن رواحة فإن استشهد فتخيروا رجلاً

منكم من هذا الرجل قال أمسك الراية خالد بن الوليد سيف الله المسلول على الكفار وكان يصف المعركة وهو جالس فى مكانه أين القدرات الموجودة فى العين الحسية التى ترى هذه المسافات؟ وكل ما ذكرناه يتنزل منه ﷺ إلى ورثته فضلاً من الله عز وجل والذى حدث معه حدث مع عمر بن الخطاب أليس كذلك؟ وهو على المنبر ومشاهد للمعركة كيف شاهده؟ وكيف سمع ندائه؟ هذه وراثة رسول الله ﷺ التى يحظى بها الصالحون من عباد الله ونحن نحبهم لأننا نرى فيهم بعض هذه المعانى النورانية التى من أجلها أقبل أصحاب رسول الله ﷺ عليه فقد أقبلوا عليه من أجل الصورة النورانية الموجودة فيه ونحن لماذا نقبل على الصالحين؟ من أجل الآثار المعنوية التى ورثوها من الحضرة المحمدية فنرى فيهم آثار رسول الله الروحانية قد نرى بعض الناس يطوف الكون من أجل أن يرى شعره لرسول الله فى مسجد فى أفغانستان يسمونه مسجد الشعرة أو ليرى البردة لكننا نريد أن نرى الكشف الذى اختص به رسول الله والنور الذى تفضل به عليه الله والفضل الذى من به عليه مولاه وهذا لا يوجد إلا فى صور الصالحين القائمين بكيانهم فى الدنيا ومعهم تصريح من رسول الله ﷺ بأن يعرضوا آثاره الروحانية وجمالاته الربانية ليجذبوا بها أهل الخصوصية للكمالات الربانية التى جمل بها الله حبيبه ومصطفاه ﷺ فهذا سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وأرضاه يقف فى الصلاة ويصلى بالناس إماماً وبعدما ينتهى من الصلاة يحدث من خلفه بما فعلوه فى الصلاة.

نور الوراثة لاح للأبصار　　　وضيا النبوة لاح للأخيار

علم وحال حجة نبوية　　　كشف صحيح بمحكم الآثار

إذاً العبرة بالجمالات النورانية التى ظهرت فى الحقيقة المحمدية وهى التى التف حولها الناس فنحن نقول فى الصلاة السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وإلقاء السلام سنة ورد السلام فرض ومن يستطيع أن يرد على العالم أجمع فى وقت واحد إلا الذى يرى بنور ربه ومعه خصوصية : **(كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به)** الذى أريد أن أقوله لإخوانى أنك لا تقف عند حدود الملامح الظاهرية ولكن انظر مما فيك من نور الله إلى ما فيه من جمال الله ولما فيك من معانى روحانية جمل الله بها قلبك وكلنا فينا هذا الجمال ﴿ **حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم** ﴾ [الآية: ٧، سورة الحجرات] كلنا فينا زينة الإيمان ولم ننكشف عليها لأنه لو رأى رجل منا زينة واحدة مما فيه مما جمله به الرحمن عز وجل لترك الدنيا بما فيها ورن فى أذنه قول الحبيب ﷺ : **(لو اطلعتم على ما اطلعت عليه ما تلذذتم بالنساء على الفرش ولا تمتعتم بطعام ولا شراب ولخرجتم إلى الصعداء تجئرون)** أى سوف تتركون الدنيا بما فيها وتمشون تقولون الله الله الله إلى أن تلقوا الله عز وجل بعد نهاية العمر المقدر لكم فى هذه الحياة لكن كل رجل منا فيه من جمال الرحمن ما لا يستطيع أن يبينه بيان ﴿ **حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم** ﴾ من الذى رأى هذه الزينة؟ سوف نراها إن شاء الله كلنا هناك والذى يراها هناك لا يغتر ولكن هنا لو رأى لمحة منها ممكن يغتر ويضيع نفسه وينسى المسئوليات التى كلفه الله عز وجل بها فى هذه الحياة ونحن اختارنا ربنا الأمة الوسط ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** ﴾ [الآية: ١٤٣، سورة البقرة] فكانت لنا الخصوصية أن جعلنا الله على الهيئة المحمدية وأنواره ﷺ لا يطيق رؤيتها فضلاً عن وصفها الواصفون لكن الله أخفاها فلا يطلع عليها إلا كمل

الواصلين وكذلك أنوار الإيمان التى زينها الله فى قلوبكم لا يطلـــع عليـــها إلا مـــن أطلعه الله عز وجل على سرائركم وأفئدتكم رحمة من الله عز وجل بنا جميعاً. انظر إلى رسول الله بنور الإيمان الذى فى فؤادك ترى كمال الله وبهاء الله ظــــاهراً فـــى حبيب الله ومصطفاه ﷺ .

نسأل الله عز وجل أن يمن علينا بالإيمان ويتفضل علينا بجمال وجهه وجميـــل محياه وأن يكرمنا به فى الدنيا وأن يطلعنا على الكمال الذى حباه به مولاه وأن ينعـم علينا بوصاله وأفضاله وجوده وكرمه حتى نصير نوراً فى أنفسنا ونـــوراً لأهلينـا ونوراً لإخواننا ونوراً لذوينا ونوراً للخلق أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثامن

خصائص رسول الله ﷺ

- النعمة العظمى.
- مواهب العارفين.
- طريق الفتح.
- كمال أخلاقه.
- كنز فضل الله.

خصائص رسول الله ﷺ (*)

الحمد لله الذى أنار قلوبنا فى البدء بنور حضرة الله وزاد فى أنوارنا بعد إشراق شمس الحق المشرقة بنور هداه وزادنا أُنساً وصفاءاً وقرباً بعد اتصال قلوبنا بنور حبيب الله ومصطفاه ونسأله عز وجل أن يزيد وصلنا ويقوى بواعث الشوق ولواعج الغرام فى أفئدتنا حتى نكون معه ﷺ بقلوبنا أينما توجهنا وكيفما كنا وعلى أى حال صرنا نحن وإخواننا أجمعين.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدا لله سر سعادتنا وباب هدايتنا وكنز علومنًا وأسرارنا وبهجة قلوبنا وأرواحنا ﷺ وعلى آله وصحبه وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. آمين

أما بعد..

فيا إخوانى ويا أحبابى بارك الله فيكم أجمعين.

فى الحقيقة الفتاح يفتح كنوزه ويأخذ منها أرزاقكم ويوزعها عليكم وأنا لست إلا خادماً فى الحضرة أوصل الأمانات من السدرة إلى قلوب أهل التوجهات فأما الأرزاق فهى من كنوز الرزاق وأما التوفيق فهو من الموفق عز وجل على التحقيق ونحن كما يقول القائل :

أنا قلم والاقتدار أصابع   أنا آلة والله جل الفاعل

(*) كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١١ من ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٦/٢٥م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة فى ذكرى المولد النبوى الشريف.

وأريد أن أبين لنفسي ولإخواني من كنوز كتاب الله بعض ما خص به الله سيدنا رسول الله ﷺ فإن كتاب الله لم يترك خلق كريم أو حال عظيم إلا وخلعه على هذا الرءوف الرحيم ﷺ . لماذا مدحه الله؟ حتى يحبه ويقبل عليه ﷺ خلق الله لأنه محبوب العناية وكنز أهل الولاية وقد حفته القدرة الإلهية بأمواج الرعاية والولاية فكل من اندرج فى أنواره حصل على قبس من أسراره وحفته العناية برقيق من على مقداره يرى بعين فى الفؤاد ما خصه به المولى عز وجل من أنوار القرب والوداد فالله عز وجل يطلب منا أن نحب حضرة النبى فوصفه لنا وبينه لنا ولم يصفه الله عز وجل فى القرآن بالأوصاف الحسية لكن وصفه بالكمالات المعنوية والفضائل الروحانية لأن عشق البشرية عشق شهوانى لا يليق بسيد البرية صلوات الله وسلامه عليه ومن أجل ذلك عندما نسمع المداحين الذين يمدحونه ويقولون يا كحيل العين، يا أسيل الخدين فليس لنا شأن بهذا الكلام لأنا نريد يا مطلوب العين يا ناظراً بالعينين يا جامعاً بين الشريعة والحقيقة فالأوصاف المعنوية هى التى تقبل عليها النفوس الطاهرة النقية الذكية وهى التى ملأ بها الله الآيات القرآنية والتى يذكرنا بها ويقول لنا فى شأنها ﴿ **لقد منّ الله على المؤمنين** ﴾ ربنا منّ على المؤمنين ولا يوجد شئ أبداً من نعم الله الظاهرة والباطنة فى كتاب الله منّ الله بها على المؤمنين إلا نعمة الإسلام والإيمان ونعمة النبى العدنان ﷺ ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان** ﴾ [الآية: ١٧، سورة الحجرات] والحظ بسرك أسرار هذه الآية فإن الله عز وجل لم يقل بل الله منّ عليكم بل قال يمنّ بصيغة المضارع لأن الإيمان هنا فى الدنيا لكن منّ عليكم من قبل بمن؟

بسبب الإيمان ورسول الهداية الذى أرسله الديان سيد ولد عدنـــان ﷺ ﴿ **لقـد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيـــهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضـــلال مبيـــن** ﴾ [الآيـــة: ١٦٤، سورة آل عمران].

النعمة العظمى

إذن كل الذى نحن فيه من نور الهداية ومن العناية ومن زكـــاء النفـــس ومـــن صفاء السر ومن طهارة القلب ومن منازل الإنس ومن مقاعد الصدق كل هذا ســـببه المنة العظمى والرحمة الكبرى لجميع المؤمنين سيدنا رسول الله ﷺ ولذلـــك فـــأهل الأدب فى هذا المقام من كمل الصالحين وأهل الكمـــال مـــن الموحديـــن والعلمـــاء العاملين. كل فضل وكل مدد وكل فتح وكل رضوان وكل هناء وسرور عمهم مـــن الله يعترفون فى كل آناتهم بأن سببه سيدنا رسول الله ﷺ ومولانا الإمام أبو العزائـــم رضى الله عنه عبّر عن هذه الحقيقة فقال :

ومن قبل كنا ظلاماً وجهلاً — فصرنا بطـــه رجالاً فحولا

والآية التى تقول ﴿ **لقد منّ الله** ﴾ عين أهل العناية عليها باستمرار حتـــــى لا يحجبوا عن الأنوار فى لحظة أو أقل من ليل أو نهار فينسبون كل فضل لرســـول الله ورسول الله ينسب كل فضل لحضرة الله ﴿ **وكان فضل الله عليك عظيما** ﴾ [الآيـــة: ١١٣، سورة النساء] ولماذا لا ننسب الفضل لله مباشرة؟ لأنه هو الذى علمنـــا عـــز وجل فى حديثه القدسى حيث يقول : (عبدى لم تشكرنى ما لم تشكر من أجريت لـــك النعمة على يديه) أى لابد لك أن تشكر السبب فإذا كـــان ســـبب الوجـــود الظـــاهر الجسمانى الفانى جعله فى المرتبة بعد توحيده عز وجل وقال لنا : ﴿ **أن اشكر لـــى**

ولوالديك إلىّ المصير ﴾ [الآية: ١٤، سورة لقمان] فطلبا منك أن تشـــكر الوالديـــن لأنهما السبب فى وجودك الظاهر فما بالك بسبب الهداية والعناية والتوفيق والصـــلاح والنجاح والجنة والأرباح من الكريم الفتاح سيدنا رسول الله ﷺ إذن لابـــــد لنـــا أن نعمل بما أشار إليه الإمام البوصيرى رضى الله عنه حيث يقول :

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف — لأن كل شرف ينالك وكل فضل أتى لك

فبسببه وبواسطته أفيض من الله عز وجل عليك صلوات الله وسلامه عليه وهذا السر هو الذى حفظ لأهل المنازل العالية أحوالهم لأنهم يرون أنهم لا يوجـــد معـــهم شئ والمخازن الظاهرة والباطنة فارغة إلا إذا أمدها بمدده والأنوار مكســـوفة إلا إذا أوصلها بنور حضرته واللسان والبيان عاجز إلا إذا أنطقها بحكمته :

كل الذى أنا فيه فضل محمد — منه بدا وإليه كان وصولية

وحقيقة ما نحن فيه يشير إليها هذا المثل فالذى يجلس علـــــى البحـــر ويرمـــى شبكته هل ضمن كم كيلو من الأسماك يأتيه؟ وكم من الأنواع والأصنـــاف تجمعـــها شبكته؟ كذلك العارفون يلقون بشباك قلوبهم التى صنعـــوا حبالـــها بمحبـــة حبيبـــهم ووثقوها بمودة إخوانهم فى بحر الجود الإلهى والكمـــال الربـــانى وتعـــود محملـــة بالأصداف الروحانية واللآلئ النورانية القرآنية فيفضونها ويعطونها للمحبيـــن وهـــم واثقين وعالمين وموقنين بأنه فضل الله ساقه لعباد الله عز وجل هل الصياد هو الذى زرع السمك أو غذاه أو رباه؟ كلا وإنما هو وسيلة جاء به من عنـــــد الله لعبـــاد الله وهكذا يا إخوانى أهل معرفة الله فى كل زمان ومكان.

فالأرزاق الروحانية من العلوم الوهبية ومن الأسرار القرآنية فتح من الله ورزق من الله لعباد الله ولسنا لنا شأن فيه ظاهراً أو باطناً وإنما هو فضل الله عز وجل فمن أراد أن يحظى بهذا الفضل ويحيا فى هذا الجود فليقف دائماً على ساحل بحر سيد الوجود ولا حول له ولا علم معه ولا طول له وإنما يتبرأ من كل ما حصله وينتظر فضل الله وعطاء الله فتمطره سحائب الرحمة الإلهية من عين الحضرة المحمدية بما لا عين رأت فى كتاب أو سمعت من لسان عالم ولا خطر على قلب بشر من الإلهامات ومن العلوم الوهبية التى يفيضها المصطفى ﷺ لأهل الخصوصية ولذلك فإن سيدى أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه لما بحث عن شيخ يوصله إلى حضرة الله وقطع بلاد المغرب والمشرق من تونس إلى مصر يبحث عن ولى الله فى الأرض الذى معه النيابة عن حضرة المصطفى ﷺ فالأولياء كثيرون لكنه يريد الذى معه التوكيل فقالوا القطب ليس عندنا فذهب إلى بلاد الشام ثم ذهب إلى بلاد العراق فقابل أحد الأفراد هناك وهو سيدى أبو الفتح الواسطى رضى الله عنه وأرضاه فقال له جئت تبحث عن القطب عندنا والقطب عندكم فى بلاد المغرب قال له أين؟ قال له فى بلد بالقرب من شاذلة فى تونس فذهب إلى القطب سيدى عبدالسلام بن بشيش رضى الله عنه وأرضاه ولم يكن يوجد حوله صولجان ولا سكرتارية ولا ديوان فقد كان مقيماً فى الجبل مع الله لأن القطب لأهل الخصوصية وأهل الخصوصية يفتحون قلوبهم وألسنتهم وعطائهم لجميع أهل المعية المحمدية فصعد إليه فقال جئت يا خليفة الزمان أنت على بن عبدالجبار بن كذا ابن كذا حتى أوصل نسبه إلى رسول الله ﷺ دون سابق معرفة وهذه هى العلامة أو كلمة السر التى عرف بها أنه هو القطب الذى اختاره الله وجعله عيناً لسيدنا ومولانا

رسول الله ﷺ فى عصره وأوانه فكان الشيخ على قمة الجبل وفى أسفل الجبل عين ماء فقال يا على انزل اغتسل ثم أرقى إلينا فنزل فاغتسل بالماء ورجع فقال له ثانية يا على انزل اغتسل ثم ارجع إلىّ فنزل فاغتسل ثانية ورجع فقال يا على انزل فاغتسل ثم ارجع إلىّ قال ففهمت أنه يريد أن أغسل قلبى من المعارف والعلوم التى حصلتها ليفيض علىّ من علوم أهل الوراثة المحمدية فتجردت من علمى ومن تحصيلى وصعدت إليه على لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

تبرأت من علمى وكل جوارحى أنبت إلى ربى بإخلاص واثق

لأن الإنسان الذى معه أجندة ومكتوب فيها هل أحد يستطيع أن يكتب على الكتابة لا لأن الكتابة الأولى لا تظهر ولا الثانية تقرأ فلابد أن تمسح الكتابة من أجل أن يكتب عليها كذلك الذى يريد العلوم الوهبية من الحضرة المحمدية لابد أن يمسح بحاله وبهمته وبعزيمته كل ما حصله من أجل أن يكتبوا له ﴿ **آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم** ﴾ [الآية: ٤٩، سورة العنكبوت] آيات بينات واضحات بشرط أن تكتب فى الصدور للقلوب المملوءة بالنور والتى تطهرت من قاذورات العلم المنشور وإنما تبغى العلم المستور والعلم المسطور الذى يسطره الحق عز وجل إن شئت قلت بأحرف من نور لأنها ليست أحرفاً كأحرفنا وإنما هو تسطير من الله لا يدرى كنهه أو حقيقته إلا عبد اصطنعه وأخذه إلى حضرته الله عز وجل. لكن الذى يذهب إلى الله ومعه كتابين حصلهم ومسألتين حفظهم فهو كالكوب الذى ملئ وجئت لى أصب لك فيه فماذا أصب فيها لابد أن تفرغها أولاً لأصب لك فيها هل يجوز أن نملأ الكوب وهو ملئ؟ فلابد أن تطهر الإناء الذى تقول فيه آيات كتاب الله وفيها الشفاء ﴿ **عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا** ﴾ [الآية: ٦، سورة الإنسان] لم يقل يشربوا فيها أو منها ولكنه قال عيناً يشرب بها وهذه هى التى

تشرب بها شراب الوصل وشراب الفهم وشراب العلم وشـراب الأنـوار وشـراب التجليات وشراب الأنس وشراب النفحات وأين تصب؟ ﴿ **إلا مـن أتـى الله بقلـب سليم** ﴾ [الآية: ٨٩، سورة الشعراء] فلم يقل إلا بعلم عظيم لأنه لا ينفع علـم مـع العليم وكذلك ليس الأمر بالمال الكثير لأن ربنا هو الذى يعطى المال.

طريق الفتح

إذن كيف يحصل للمرء فتح الله؟ بالقلب السليم فيطهر هذا القلب ويقـف علـى ساحل سيد الوجود ويستمطر من الله الفضل والكرم والجود فيناوله الله عز وجل مـن علم الله المشهود

كشفوا لى الحجب حتى أشهدونى نور أصلى

هذا مفتاح الفتح فالفتح ليس بالعلم ولا بالأمل ولا بالمال ولا بالعمل لأن العمـل لو وضع على ميزان الصدق والإخلاص لكان كله زلل فأى عمل يعملـه أى عبـد صالح لو وزن بميزان الصدق والإخلاص سـنقول جميعـاً كمـا قـال الخَـوَاص (إخلاصنا يحتاج إلى إخلاص) من الذى يصل للغاية من الإخلاص لله عز وجل إذن ؟ ما المفتاح لفتح الكريم الفتاح؟ هو الوقوف على باب الحضرة المحمدية والإنسـان يقول لكل أرجاء عوالمه الظاهرة والخفية أنه عبد فقير إلى الله العلى القدير ويقـول له ﴿ **رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير** ﴾ [الآية: ٢٤، سورة القصص] صاحب هذه الكلمة سيدنا موسى عليه السلام وهذا أمر هام لكل من أراد أن ينال هذا المـرام من الفتح والكشف والإلهام سقى لهما سقى للبنتين بدون أن يُطلب منه ثم تولى إلـى الظل وأحس أنه جوعان وطلب من الله عز وجل ﴿ **وقال رب إنى لما أنزلت إلـى من خـير فقير** ﴾ وإذا بالفتاتين تأتيان وتقولان ﴿ **إن أبى يدعـوك ليجزيك أجر ما**

سقيت لنا ﴾ [الآية: ٢٥، سورة القصص] ليعطيك أجرتك قال لا نحن آل بيت لا نأخذ أجر على عمل عملناه لله مع أنه فقير ومحتاج إلى رغيف عيش لكن العمل الذى عمله لله حرص أن لا يأخذ عليه حتى كلمة شكر لأنه يرجو فيه الفتح من الله عز وجل فأئمة أهل الفتح مبدأهم ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** ﴾ [الآية: ٩، سورة الإنسان] لا يريدون جزاء ولا حتى كلمة شكر وقد سار على هذا المنهاج حتى حصيفات النساء مثل الذين قال فيهم سيد الأنبياء ﷺ **(كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع فاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم)**[1] يعرفنا أن الكمال فى النساء قليل فأهل الكمال منهم السيدة فاطمة وعلى أثرها السيدة عائشة كانت إحداهن إذا تصدقت بصدقة تقول للخادم اعطها لفلان ثم احفظ ما يقول من الدعاء وعندما يرجع تسأله بم دعا؟ فيقول بكذا وكذا فتدعو له بمثل ما دعا فسُئلن لم تفعلن ذلك؟ فقلن دعاء بدعاء حتى تسلم لنا صدقاتنا عند الله فقد خفن أن تكون الدعوة هى الأجرة فالذى يريد أن يستكثر ماذا يفعل؟ ﴿ **ولا تمنن تستكثر** ﴾ [الآية: ٦، سورة المدثر] لا يمن على أحد بأن يقول له عملت لك كذا ولا أحضرت لك كذا ولا علمتك كذا ولا وهبتك كذا ولا صنعت معك كذا هل أنت عملت هذا له أم لله؟ لا يجوز أن يكون للإثنين إما لهذا وإما لذاك إذا كان لهذا العبد الضعيف تكون قد أخذت أجرتك منه فلا تنتظر أجراً أو ثواباً أو رفعة أو مقاماً عند الله عز وجل أما إذا كنت تريد الأجر من الله ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الذى فطرنى** ﴾ [الآية: ٥١،

---

[1] رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما والإمام أحمد والترمذى وابن حبان والنسائى وابن ماجة عن أبى موسى الأشعرى بلفظ (كمل من الرجال ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام).

سورة هود] وهذا محك جوهرى يقع فيه معظم الناس إلا الصالحين حتى الأب مع أولاده بعد ما كبرت الأولاد وتعلمت واشتغلت بالعمل ربما حدث له مع أحد أولاده أمر فيقول له أنا علمتك وصرفت عليك كذا وربيتك بكذا وفعلت معك كذا وكذا فيضيع ثوابه عند الله عز وجل هل أنت تعلمه لتريد منه شيئاً؟ هل تزوجه لتريد منه حاجة؟ كلا بل أنت لا تريد إلا من الله عز وجل قال فى ذلك الأمر ﷺ : (إن العبد ليعمل العمل بينه وبين الله فلا يزال الشيطان به حتى يحدث به فيحبط أجره) فيجعله يحدث به ولو بعد خمسين عاماً فقد يعمل عملاً من أعمال البر والخير ويكتمه وبعد حين من الدهر يجلس مع جماعة فيخدعه الشيطان ويقول له وأما بنعمة ربك فحدث ولم يلحظ الإشارة العظيمة فى الآية فقد قال وأما بنعمة الربوبية فحدث كالأكل والشرب والخير واللطف والفضل الذى أعطاه لك الله حدث به عباد الله عز وجل لكن الذى عملته لم يقل حدث به الذى عمله معك ربنا حدث به الناس ليعرفوا الله ويقبلوا على الله لكن الذى عملته أنت هل تحدث به؟ وأما بنعمة ربك التى أجراها عليك والتى صنعها معك فحدث لكن لم يقل حدث بالذى عملته أو صنعته أو فعلته وإنما قال ﴿ **والعمل الصالح يرفعه** ﴾ [الآية: ١٠، سورة فاطر] لا يضعه أمام عينه من أجل أن ينظر إليه على الدوام ويظل مشغولاً به ويريد أن يحدث به لكن يرفعه إلى الله وينساه وينسى ماذا عمل ﴿ **وما كان ربك نسياً** ﴾ [الآية: ٦٤، سورة مريم] فيعلم بأن الله لا ينساه وكذلك لا يضيع شيئاً من ثوابه ﴿ **إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً** ﴾ [الآية: ٣٠، سورة الكهف] فطالما أنه لا يضيع العمل الصالح لماذا تقل لفلان أو علان؟ فهذا محك من المحكات التى يزن أهل الكمال أنفسهم بها ليقفوا على بحر النفحات والجود والهبات هل يليق برجل من الصالحين أن يمن على رجل بعد أن أعطاه الله الفتح على يديه والكشف على يديه ويقول أنا الذى ربيتك وربنا فتح

عليك بسببى أو أنت صرت من أهل الكشف لأجل خاطرى أسمعتم عن أمر مثل هذا من الصالحين؟ لا، لأنهم يرون أنهم ليس معهم شئ وليس هذا كلاماً فقط ولكنه إحساس وشعور داخلى فيشعرون أنهم بنور الله وبتوفيق الله قائمين ولو تخلت عنهم عنايته عز وجل طرفة عين أو أقل لصاروا أقل من الهواء لأن الله عز وجل بفضله وكرمه وجوده واتحافه وإنعامه هو الذى يواليهم بكل ذلك الرجل الذى يشتغل فى محل من المحلات العظيمة وفيه من كل خيرات الدنيا ماذا يملك فى هذا المحل؟ لا يملك شيئاً ونحن كذلك نعمل فى معرض سيدنا رسول الله فنعرض بيانه ونعرض حكمه ونعرض أفعاله ونعرض أنواره لكنها ليست لنا أو منّا بل منه ﷺ إلى أهلها المستحقين لها من المؤمنين والمخلصين والصادقين فى طلبهم لله عز وجل فى كل وقت وحين.

كمال أخلاقه

ورسول الله ﷺ هو المنة العظمى وربنا يمن علينا بها ويعطينا مؤشر بسيط أختم به حديثى وأرجو أن تسامحونى فى الإطالة فهذا هو الذى أقصده من الحديث من البداية بم خصه الله على أنبياء الله ورسل الله ﷺ ؟ الأنبياء والمرسلين أعطاهم الله أخلاق الكمال وصلى الله على حبيبه الأوحد ورسولنا الأمجد الذى زاده الله كمالاً على كل أهل الكمال ولذلك قال ﷺ : **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**[1] لم يقل إنما بعثت بمكارم الأخلاق لأن هذا بُعث به كل النبيين وإنما عليه أن يتمم هذه المكارم ويعلو بهذه الفضائل والسجايا ولذلك قال له الله ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [الآية: ٤، سورة القلم] لم يقل وإنك لذو خلق عظيم فإن كل رسول من السابقين

---

[1] رواه البيهقى فى سننه والدارودى عن أبى هريرة.

ذو خلق عظيم لكنه ﷺ أعلى من الخلق العظيم كمال ومن بعد الكمال مزيد فإذا كان الخلق العظيم فى كظم الغيظ فإن الكمال الأعظم فى الإحسان إلى من أساء إليك وهذا لمن؟ لرسول الله ﷺ وإذا كان الخلق العظيم أن تصل من وصلك فإن الخلق الأعظم أن تصل من قطعك وإذا كان الخلق العظيم أن ترد الهدية والعطاء على من أهداك أو أعطاك فإن الكمال الأعظم أن تعطى من حرمك ومنعك **(أصل من قطعنى وأعفو عمن ظلمنى وأعطى من حرمنى)** هذه الأخلاق العظيمة التى خصه بها الله عز وجل إذا كان مدح الله عز وجل النبيين ببعض الأخلاق فقد جمع له كل مكارم الأخلاق وزاده عليها نصيباً فى وسعة الأخلاق لم يصل إليه أحد على الإطلاق فمدح الله عز وجل داود ومدح الله موسى ومدح الله عيسى ومدح الله إسماعيل ومدح الله أيوب لكن انظر إلى مدائحهم ومدح الله لحبيبه ومصطفاه تجد فرقاً شاسعاً وبون كبير بين الكمالين كمال النبيين والكمال الأعلى لسيد النبيين ﷺ يقول الله عز وجل فى شأن أيوب عليه السلام ﴿ **إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب** ﴾ [الآية: ٤٤، سورة ص] فمدحه بالصبر لكن حبيب الله عز وجل ومصطفاه ﷺ لما وصفه الله بالصبر ليس فى موطن واحد وإنما فى مواطن متعددة ولكل واحد منها مدد فريد من الحميد المجيد لهذا النبى ﷺ ﴿ **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل** ﴾ [الآية: ٣٥، سورة الأحقاف] فها هنا قال له أنت صبرك مثل صبر أولوا العزم مجتمعين فلو جمع صبرهم لكان صبر الحبيب ﷺ أعلى من جميع صبرهم لماذا؟ لأنهم يتصبرون أما هو ﴿ **واصبر وما صبرك إلا بالله** ﴾ [الآية: ١٢٧، سورة النحل] وكذلك فالكريم الذى يجود بما عنده لكن هل هناك كريم يكلف نفسه أن يجود بما ليس عنده لا يكون هذا المقام إلا لرسول الله ﷺ .

يمناك تهمى بالعطا وتجود   وسما بنسبته إليك الجود

فقد ذهب إليه رجل وقال يا رسول الله اعطنى مما أعطاك الله فقال اذهب إلى بلال فهو خازن بيت المال فقال يا رسول الله ليس عندنا شئ فقال للرجل اذهب إلى فلان صاحب تجارة وابتع عنده ما شئت على وأنا أقوم بالسداد فقال سيدنا عمر يا رسول الله إن الله لم يكلفك بهذا فتغير وجهه صلوات الله وسلامه عليه فقال سيدنا بلال أنفق يا رسول الله ولا تخش من ذى العرش إقلالا فتبسم وتهلل وجهه وقال بهذا أمرت أى أن الله أمره أن يتكل على الله وينفق فوق طاقته لأنه زاد فى الكرم على جميع الكرماء بما آتاه الله عز وجل من نعمه التى لا تعد ولا تحصى صلوات الله وسلامه عليه فالكريم قد يجود بيمناه لكن من الذى يهون عليه حتى منكم أن يجود بأخراه أو بعمل صالح قدمه إلى الله؟ من الذى يهون عليه؟ لكنه يقول أمتى أمتى فيقول الله عز وجل ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ [الآية: ٥، سورة الضحى] لا يقول نفسى نفسى ولكن يقول أمتى أمتى فيطلب الخير لنا والبر بنا وينسى نفسه إيثارا لنا صلوات الله وسلامه عليه لأنه هو المثل الأعلى فى الإيثار ضرب الله عز وجل بإسماعيل المثل الأعلى فى صدق الوعد ﴿ **إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا** ﴾ [الآية: ٥٤، سورة مريم] ورسولنا صادق الوعد فى كل ما وعد به وليس فى هذه الحياة فقط لكن فى الدنيا والآخرة فمن رآه فى المنام إلى يوم الزحام فقد رآه حقا فإن الشيطان لا يتمثل به ومن بشره ببشرى لابد أن يفى له بها ذهب إليه سراقة بن مالك وقال له أريد بشرى فقال له كيف بك إذا لبست سوار كسرى ملك الفرس ولابد من تحقيق الوعد وقد تحقق وعده فى عصر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفتش فى سيرته ما وعد أحدا بشئ فى دنياه أو فى أخراه

إلا ووفى به ﷺ لأن له كل ما وعد به تصديقا من الله عز وجل لـــه صلـوات الله وسلامه عليه فرسول الله ﷺ أعلى همة وأعلى عزيمة ولم يرض لنـــا أن نرضـــى بالأخلاق الكريمة بل طلب منا أن نعلو على الأخلاق الكريمــــة ونتخلــق بأخلاقـــه العظيمة صلوات الله وسلامه عليه.

كنز فضل الله

ومن هنا فالذى يريد أن يكتمل له باب فضل الله عليه أن يتخلق بأخلاق رســـول الله فلا يعامل الناس بمعاملاتهم وإنما يعامل الناس بمعاملة رسول الله للناس فيصــــل من قطعه ويعطى من حرمه ويعفو عمن ظلمه لا ينطق عن الهوى ولا يفعل شــــيئا رغبة فى رضاء نفسه لأنه لا يغضب لنفسه وإنما يغضب إذا انتهكت حرمـات الله لا يغضب بأن هذا تحدث عنه بحديث لا يليق فيحرمه من نعمة من النعم أو نوعا مــــن الجود والكرم وإنما يفعل ما يليق به لأنه يريد وصال حضـــــرة الرســـول الأعظــم صلوات الله وسلامه عليه فالكمال لأهل الكمال الذين تحلوا بشريف الخصال خلــــف النبى المصطفى ﷺ فى كل حال وديوان الصالحين وسير المتقين من أهل الفتح فـــى كل وقت وحين كلها على هذه الأحوال. كيف يعــاملوا أعدائــهم؟ وكيــف يكرمـــوا خصومهم؟ وكيف يعفوا عمن ظلمهم؟ وكيف يحسنوا إلى من أساء إليهم؟ بهذا بلغــوا وبهذا ارتفعوا وبهذا قعدوا على بحر الفضل الأعظم واغـــترفوا منـــه صلـــوات الله وسلامه عليه أما الذى ما زالت نفسه حية ويريد أن يقول ﴿ **فمـــن اعتـــدى عليكـــم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾ [الآية: ١٩٤، سورة البقرة] مثلما يعـــاملنى فلان فسأعامله هذا لا ينفع يا إخواننا فى ديوان الصالحين ولا يكون من أهل الفتـــح المبين لأن هذا هو طريق ﴿ **محمد رسول الله والذين معه** ﴾ [الآية: ٢٩، ســـورة

الفتح] اختاروا الطريق وجعلوا أنفسهم أئمة أهل التحقيق وعلموا علم اليقيـــن أنـــه لا يستطيع أن يدنوا منهم فى أخلاقهم وتعاملهم رفيق فأراحوا أنفسهم من هذا الضيـــق لأنهم صاروا على منهاج صاحب الكمال الأعظم ﷺ ومن هنا قيل عن أهل الطريق أهل السماح أهل العفو، أهل الصفح، أهل الفضل إذا ذكر أهل الطريق فهذه صفاتـــهم وهذه أحوالهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل التاسع

سر السعادة الأزلية

- سر سعادتنا الإيمانية.
- نعمة الهداية.
- حقيقة الرحمة.
- الرحمة العظمى لجميع العالم.
- سر ابتلاء الله للمؤمنين.

سر السعادة الأزلية(*)

الحمد لله الذى جعلنا من الأمة المجتباه وخصنا بالرحمة المهداه وغشانا بفضله بنور حبيبه ومصطفاه.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرحمة العظمى لجميع الأنام والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الزحام ﷺ وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه فى الدنيا وكان معه يوم لقاء الملك العلام وعلينا معهم أجمعين. آمين. آمين يارب العالمين.

أما بعد..

فيا إخوانى ويا أحبابى بارك الله عز وجل فيكم أجمعين..

فى الحقيقة يحتار الإنسان عندما يكلم علماء فقهاء فى أمر من الأمور وأنتم والحمد لله قد أحطتم بجوانب سيرة حبيب الله ومصطفاه من جميع جوانبها ودرستم ما مدحه به الله عز وجل فى كتابه وما أثنى به عليه سبحانه وتعالى فى آيات قرآنه ولكن كما قال الله لحبيبه ومصطفاه ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ [الآية: ٥٥، سورة الذاريات] فإننا نذكر أنفسنا فى هذه الليلة بالنور التام الذى أحيا به الله منا الأرواح والعظام وجعلنا به فى الدنيا من أهل الإسلام ونسأله عز وجل أن يجعلنا به فى الآخرة من أهل النظر إلى وجهه على الدوام نتذكر بحبيب الله ومصطفاه أنه ﷺ كان رحمة عظمى وأن الله رحمنا به قبل كوننا وقبل ظهور

(*) كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٢ من ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/٦/١٥م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة فى ذكرى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف.

صور أرواحنا وقبل أن يكتب الهداية لنا وقبل أن ينبلج فى الكون كله شئ لنا أو عنّا أو حولنا فمن رحمة الله بنا ولنا وعلينا جماعة المؤمنين أن الله عز وجل عندما خلق الخلق وميز بينهم وقال هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وهؤلاء إلى النار ولا أبالى اختارنا فى الكفة التى قال فيها هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وقد كانت هذه أول قطرة مستنا وشرفتنا من رحمة رسول الله ﷺ بنا يصور ذلك الحبيب صلوات الله وسلامه عليه فيقول : **(إن الله خلق الخلق فى ظلمة)** والخلق هنا للجميع خلق أرواحهم وأنفسهم جميعاً بلا استثناء فى أزله القديم ﴿ **ولقد خلقناكم** ﴾ يعنى جميعاً ﴿ **ثم صورناكم** ﴾ أعطى كل روح صورتها وبعد الخلق والتصوير ﴿ **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ﴾ [الآية: ١١، سورة الأعراف] إذن الخلق كله والتصوير كله للعالم كله كان قبل السجود لآدم عليه السلام **(خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور وفق واهتدى ومن لم يصبه ذلك النور ضل وغوى)** إذن أول إغاثة لنا برحمة الله وحبيب الله ومصطفاه أن الله صبغ أرواحنا بنور حبيبه ومصطفاه ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾ [الآية: ١٣٨، سورة البقرة] وأخذنا من هذه اللحظة شيئاً من ميراثه النورانى فقد أخذ من اللحظة التى قبلها ﴿ **فأنا أول العابدين** ﴾ [الآية: ٨١، سورة الزخرف] ونحن أخذنا بعدها ﴿ **ونحن له عابدون** ﴾ ساعة ما صبغنا بروح الحبيب المصطفى وغمس أرواحنا فى نوره انشرحت الصدور للهداية وكتبت لنا العناية وجعلنا الله مثبتين فى دائرة الولاية وكانت الأعمال والأفعال بعد ذلك تبعاً لذلك وهذا ما عبر عنه الأنصار حيث يقولون: **(اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا)** قال فيها الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه :

لولا العناية من أزل لنا سبقت لما اهتدينا ولا أرواحنا عشقت

فى هذه التوجهات المحمدية لأرواحنا وذواتنا النورانية شهدنا ورأينـــا الحقيقـــة المصطفوية بنورها وبهاءها وضيائها وجمالها وكمالها وعلوها وسماءها وكـــان قـــد سبق للنبيين ظهور ذلك النور ومن بعد انبلج للملائكة هذا النور فلما جئنا إلى عـــالم الكون كان معنا جهاز الاستقبال الذى يستقبل كتاب الله بخشوع وخضـــوع وإيمـــان وتسليم ومعنا جهاز الاستقبال الذى يصدق رسول الله فى كل ما جاء به مـــن عنـــد مولاه عز وجل.

سر سعادتنا الإيمانية

فأمره الله عز وجل أن يذكرنا بهذه الحقيقة التى كنا فيها وهى ســـبب ســـعادتنا وسبب هدايتنا إلى الله عز وجل ﴿ **إن الذين أوتوا العلم من قبله** ﴾ ــ فى العـــالم الأول ــ ﴿ **إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً** ﴾ [الآية: ١٧، سورة الإســـراء] وربنا لم يقل له علمهم وإنما قال له وذكر أى فكر المؤمنين بما كانوا عليه من بـــهاء وثناء وجمال وكمال فى حضرة الواحد المتعال حتى يعلموا علم اليقين أن الإيمـــان فضل من الله ليس اجتهاد ولا محصلة تعب وعناء فلا يجب على مؤمن أن يظـــن أن إيمانه بسبب اجتهاده أو بمهارته أو حتى وراثة عن أبوين كريمين لأن الله عز وجـــل يحكى لنا أن ابن نبى الله نوح لم تفلح معه جهود أبيه فى جذبه إلى توحيد الله عـــز وجل وحتى لما نزل عذاب الله كان يرجو أن يكون هذا دافعاً له إلى الإيمـــان بـــالله فقال : ﴿ **يا بنى اركب معنا** ﴾ يعنى انطق بالتوحيد واركب معناه ﴿ **ولا تكن مـــع الكافرين** ﴾ ولكن شقوة الله السابقة كانت حاكمة ﴿ **قال سأوى إلى جبل يعصمنـــى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان مـــن**

المغرقين ﴾ [الآيتان، ٤٢، ٤٣، سورة هود] ويسوق الله إلينا حديث نبى الله نوح مع ربه عن ابنه لنعلم فضل الله علينا وعلى أبناءنا وعلى بناتنا وعلى إخواننا أجمعين **﴿ رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ﴾** [الآية: ٤٥، سورة هود] انظر إلى هذه الضراعة ومن الذى يضرع؟ نبى كريم على الله وعزيز على مولاه ويضرع إلى الله فى ابنه وفلذة كبده أن يهديه الله **﴿ قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غير صالح ﴾** أو فى القراءة الثانية **﴿ إنه عَمِل غير صالح ﴾** [الآية: ٤٦، سورة هود].

نعمة الهداية

فنبى الله يضرع إلى الله فى ابنه أن يهديه الله ليعلمنا الله فضل الهداية التى تفضل بها علينا الله وليس لأن أبى مسلم وأمى مسلمة وإنما فضل من الله وإكرام من الله وإنعام من الله ولذلك قال الله تعالى للحبيب صلوات الله وسلامه عليه : **﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾** [الآية: ١٧، سورة الحجرات] وهذه النعمة لو جلسنا نشكر الله طوال عمرنا حتى نلقى الله لم نستطع أن نشكره عليها نعمة الهداية حتى لو جعل الله لنا الدنيا هماً ملازماً ونكداً دائماً وجحيماً لا يطاق لكن حفظ لنا الهداية حتى نلقى حضرة الخلاق ماذا يحدث لنا؟ ماذا تساوى الدنيا بما فيها من فتن وإحن بعد أن يمن الله علينا ويتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين هذه النعمة المؤمن دائماً يجعلها على رأس النعم التى يذكرها لمولاه ويسأله دوامها حتى يلقاه وهو من عباده المسلمين وهى النعمة التى كان سلفنا الصالح يقولون فيها (اللهم أدمها نعمة واحفظها من الزوال) فلا يقصد بالنعمة هنا الأكل والشرب والأثاث وغيرها وإنما نعمة

الهداية والإسلام التى نحن فيها لأن القوت ربنا حافظه طبيعى أن نفساً لـــن تمـــوت حتى تستوفى رزقها وكانوا يسألون الله ذلك قـــائلين ﴿ **توفنـــى مســـلماً وألحقنـــى بالصالحين** ﴾ [الآية: ١٠١، سورة يوسف] وهذه هى دعوة أنبيـــاء الله عـــز وجـــل فرحمنا الله بحبيبه ومصطفاه فى البدء ورحمنا الله عز وجل بشرعه فى الدنيا.

حقيقة الرحمة

والذى يريد أن يرحمه الله ويعيش فى رحمة الله إن كان مع زوجته أو مع ولـده أو مع أهله أو مع جيرانه أو مع مجتمعه ماذا يفعل؟ يرحم نفسه أى يطبق شـــرع الله الذى جاء به الرحمة المهداة وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصـدق فيما قال (إن الله أعزنا بالإسلام فمن طلب العزة فى غيره أذله الله عز وجل) ليـــس هناك رحمة ولا تراحم إلا بشرع الله فالبيت الذى فيه شرع الله مقام فى كل أحوالـــهم فى حديثهم وفى جلساتهم وفى مأكلهم وفى مشاربهم وفى ملبسهم وفى نومهم وفـــى معايشهم تجدهم رحماء حكماء علماء حتى كل الأشياء التى يمسونها تتبجـــس منـــها الرحمة لأنهم رحمهم الرحيم الرحمن عز وجل فإذا وجدت مشقة أو عنت أو شقة أو خلاف أو فرقة أو نزاع أو صدود أو هجران فلأنهم قصروا فى حكم مـــن أحكـــام الرحمن ولم يتابعوا فيه منهج النبى العدنان ﷺ .

الرحمة العظمى لجميع العالم

﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [الآية: ١٠٧، ســـورة الأنبيـــاء] حتـــى الكافرين فقد أرسل الله النبيين والمرسلين السابقين فكانوا من يكذب بهم ويظل علـــى تكذيب توحيدهم وشرعهم يطلبون من الله فوراً أن ينزل العذاب بهم كلـــهم فأولـــهم

سيدنا نوح قال ﴿ **رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا** ﴾ [الآية: ٢٦، سورة نوح] وذكر الأسباب فقال : ﴿ **إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا** ﴾ [الآية: ٢٧، نوح] وهكذا كل الأنبياء السابقين لكن خير المرسلين رفع الله به العذاب عن جميع المعاصرين إلى يوم الدين ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾ [الآية: ٣٣، الأنفال] فرفع الله عن الأرض قرارات الخسف والمسخ والقذف بالحجارة والغرق والعذاب العام لجميع الأنام لأنه رحمة تامة للخاص والعام صلوات الله وسلامه عليه وأعطانا به المثل عندما جاءه قومه فكذبوه وعادوه وأخرجوه ومع ذلك ينزل ملك الجبال ويقول يا محمد (مرنى بما شئت إن شئت أطبق عليهم الأخشبين) وهم الجبلان المحيطان بمكة فيقول ﷺ (**إنى لم أبعث نقمة وإنما بعثت رحمة فأرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله عز وجل**)[1] إذا كان لم يدعو على كافر آذاه فكيف يدعو مسلم على مسلم ظن أنه آذاه ولم يتثبت ويتيقن كما أمر الله فما بالكم بالمسلم الذى يدعو على ضناه يدعو على ابنه أو يدعو على ابنته أو يدعو على زوجه أو يدعو على أهله أين هذا من الرحمة العظمى لجميع العالم إذا كان لم يدع على الكافرين طمعاً فى أن يخرج منهم الموحدين فنحن ندعو لهم بالرشد وندعو لهم بالتوفيق ندعو لهم بأى دعاء فيه رجاء والله عز وجل لا يخيب رجاء من دعاه بخير أبداً وكان من رحمة الله العظمى بنا بحبيبنا ﷺ فى حياتنا أنه علم ضعفنا وعلم عجزنا وعلم بشريتنا بأننا قد ننساق إلى مثل ما قلناه فأخذ عهداً ووعداً من مولاه ألا يستجيب لنا فى ما قلناه فقال ﷺ لنعلم ذلك علم اليقين : (**إن الله يستجيب لأحدكم ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم**)[2] يعنى لو دعا

---

(١) رواه مسلم وأبو يعلى عن أبى هريرة.
(٢) رواه الترمذى فى سننه عن عبادة بن الصامت.

على أحد بأن يقع فى معصية لا يستجيب له الله طلبا من حبيب الله ومصطفاه ولو دعا لأب بأن يقاطع ابنه أو ابن بأن يهجر أباه أو أخ أن يهجر أخاه لا يستجيب له الله فإن الله لا يستجيب دعاء فى إثم ولا قطيعة رحم والمسلم رحمه الله فى هذه الحياة وجعل رحمته فى كتاب الله وفى نور حديث رسول الله ﷺ فرحمة الله معنا ورحمة الله فينا ورحمة الله بيننا كل ما تحتاج منا أن نعزم عزيمة أكيدة أن نطالع سيرته وأن نعمل بسنته وأن نسير على محجته فقد قال ﷺ : **(تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلى هالك)**[1].

سر ابتلاء الله للمؤمنين

وبعد أن رتب أمور المؤمنين ووضع التقنينات الرحيمة للمسلمين وجعلنا مرحومين فى كل حركاتنا وسكناتنا بشريعته والاستمساك بسنته صلوات الله وسلامه عليه. سأل الله عز وجل أن يجعل هذه الأمة تخرج من الدنيا وليس عليها ملمة أو ذنبا يؤاخذها الله عز وجل به بعد الموت فقال ﷺ : **(إن الله جعل عذاب أمتى فى الدنيا بالزلازل والفتن والمحن)**[2] فما يمر بنا من ضائقات أو بعض النكبات أو الزلازل التى يسبقها لطف اللطيف وتغمرها رحمة الرحيم فإنما هى دعوة النبى الكريم فمن رحمته بنا دعا الله عز وجل أن نخرج جميعا من هنا وليس لنا سيئة يطالبنا بها الله عز وجل فمن هنا قال ﷺ فى أحاديث كثيرة : **(ما من هم ولا غم ولا ألم يصاب به العبد المؤمن حتى الشوكة يشتاكها إلا وكفر الله عز وجل بها من**

(١) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم فى المستدرك عن عرباض ابن سارية.

(٢) رواه أحمد فى مسنده وأبى داود والحاكم فى المستدرك عن أبى موسى.

خطاياه)[1] وعندما ذهب يزور مؤمناً فى سكرات الموت ووجده يعانى من خوف شديد قال له ﷺ : مم تشتكى؟ قال : أخاف ذنوبى. قال : ألم تشتكى الحمى قط؟ قال: بلى قال : **(فإن الحمى نصيب المؤمن من نار جهنم)** فالذى تجيئ له الحمى مرة فقد أخذ نصيبه من نار جهنم فجعل الله الهم تفريجاً لنا فى دنيانا والزلازل والفتن تكفيراً لذنوبنا وخطايانا وتشتد المحن لمن أراد الله عز وجل أن يزيده فى المنن لقوله ﷺ : **(إذا أراد الله أن يرفع العبد درجة فى الجنة لا ينالها بشئ من عمله ابتلاه)**[2] أى يكون الابتلاء رفعة من الله عز وجل لينال منازل عليين الذى لا يعمل الأعمال الصالحة التى توصله لرب العالمين عز وجل فتوالت علينا رحماته حتى قال : **(أمتى هذه أمة مرحومة أو لها خير وآخرها خير وبينهما كدر)**[3] وقال ﷺ : **(سألت الله عز وجل أن يخفف عن أمتى عذاب جهنم فجعله كحر الحمام لمن يدخلها)**[4] أى حتى الذى يدخل فإن عذابه يكون كحر الحمام الذى يستحم فيه كأنه حمام ساخن فكان ما نحن فيه فضل من الله ومنة من الله حتى نتنبه بالرجوع إلى شرع الله وإلى سنة حبيبه ومصطفاه إذن ما ينزل بالمؤمنين فى الدنيا ليس عقوبة وليس بلاء وليس كما يظن البعض انتقاماً من الله وإنما هو تنبيه من الله لنرجع جميعاً إلى شرع الحبيب وسنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لأن من عاش متنبهاً كان كما قال ﷺ : (من عاش متنبهاً قلت مصائبه) جعل الناس هذا الحديث

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه عن عائشة.

(٢) رواه أحمد والبزار وأبى داود عن عائشة.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة.

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط وأبى نعيم عن أبى بكر.

لمن عاش متتبعاً لمدارك الدنيا وطرق أخذها وكيفية تحصيلها وكيفية تفويت فرصها على غيره والاستئثار بها وإن كان هذا الحديث لا يحمل هذا المعنى فمن عاش متتبعاً فى نفسه وفى أهله وفى عمله لمنهج الله وسنة حبيب الله قلت مصائبه فإن الله عز وجل قال فى محكم قرآنه ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ [الآية: ٩٧، سورة النحل] فالمهم اليقين فى إتباع سيد الأولين والآخرين كل ما يتعب اتباع هذا الدين تشككهم فى صدق الإتباع وظنهم بنفوسهم أن هذا خداع حيث يكون حديث نفسه كيف يمشى على شرع الله ويعكف على سنة حبيب الله ومصطفاه ويهيأ الله عز وجل له ما يرجوه فى هذه الحياة؟ هذا التشكك وهذا التزلزل هو الذى يجعل الأمر فى نفسك غير يقينى وغير جازم والله عز وجل يقول لنا أجمعين ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ [الآية: ٩٩، سورة الحجر] فاجعل اليقين فى قلبك بأن أمرك سينصلح كله فى صدرك وفى نفسك وفى بيتك وفى أهلك إذا عملت بشرع الله وبسنة حبيب الله ومصطفاه وليس على هواك ولكن على حسب ما نزل به الشرع الشريف وسنة النبى صلوات الله وسلامه عليه وما ورد عن الأئمة الأعلام هنالك تجد الرحمة تحفك من كل جوانبك رحمة الله فى خاطرك ورحمة الله فى فؤادك ورحمة الله فى فكرك ورحمة الله فى مالك ورحمة الله فى زوجك ورحمة الله فى ولدك ورحمة الله فى كل من حولك تجد صدرك فيه رحمة الله فلا يضيق بنازلة تنزل فى هذه الحياة لأنه يعلم سرعة تفريج الله ويحدث ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا** ﴾ [الآية: ٢، سورة الطلاق] وتجد كل من حولك يرحمك ويشفق عليك ولا يعنتك ولا يكلفك شططا ولا يطلب منك أمراً فوق طاقتك بل يلتمس لك المخرج

ويجعل الناس يرضون ولو بالقليل لأن الله رحمك وجعل فى قلوبهم رحمة تفد بـــالود إليك وتجد أعضائك وقد شملتها رحمة الله فتطيعك فى تنفيذ أمر الله ولا تتملل عنـــد تنفيذ طاعة ولا تشمئز عند سماع كلمة طيبة بل تجدها تنفر عندما تقدم لــــها شـيئاً خبيثاً فقد كان سلفنا الصالح رضى الله عنهم إذا قدم لهم شئ غير طيــــب ترتجــف الأعضاء وتشمئز النفس لأنها لا ترضى إلا بالطيب **(إن الله طيب لا يقبل إلا طيبـــا)** إذاً مفتاح واحد يفتح لك جميع خزائن الله العالية والدانية فيك وفـــى الأرض وفـــى السماء وفيمن حولك ﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات مـــن السماء والأرض** ﴾ [الآية: ٩٦، سورة الأعراف] ومن رحمة الحبيب بنا صلـــوات الله وسلامه عليه دعا لنا وقال لله فى شأننا **(اللهم اجعــل رزق آل محمــد قوتـــا)**(١) يعنى على قدر ما يحتاجون لأنه يعلم كما قال فى حديثه المكرم **(يا ابن آدم لا مـــن كثير تشبع ولا من قليل تقنع عندك ما يكفيك وتطلب ما يطغيك)**(٢) بل ويلهيك عـــن خالقك وباريك علم أن النفس نزاعة إلى الاستكثار وإن علمت علم اليقين أن هذا فيــه كل المضار فى الدنيا والعذاب يوم القرار ولا ترجع إلا بسيف الواحد القـــهار عــز وجل فطلب من الله لنا أن يجعل فى قلوبنا القناعة وقال لنا **(القناعة كنز لا يفنــى)**(٣) وطلب من الله أن يعطينا ما يكفينا حتى لا نستكثر من الدنيـــا فنبتعــد عــن العمــل الصالح وصالح العمل ويكون هذا غروراً لنا فى الدنيا لأن النفس فى هـــذا الوقــت تسوف العمل فتنسى الأجل وتقع فى الخطأ والزلل فإذا جـــاء الأجــل بغتـــة كـــانت

---

(١) رواه مسلم والإمام أحمد عن أبى هريرة.

(٢) رواه ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى شعب الإيمان وأبو نعيم فى أربعينه عن عمر بن الخطاب.

(٣) رواه البيهقى فى الزهد عن جابر.

الحسرة ولا تنفع الحسرة لمن يقول : ﴿ **يا حسرتى على ما فرطت فى جنـــب الله** ﴾ [الآية: ٥٦، سورة الزمر]. أما إذا كان القوت على قدر الكفاية فيظل القلب والجنـــان يرجو من الله الكفاية ويظل اللسان يطلب من الله الغنى به عما سواه وهذا ما يطلبـــه الله من عباد الله أن يظلوا على جنابه عاكفين وبذاته لذاته سائلين وبذكـــره ســـبحانه وتعالى قائمين فيعطيهم الله عز وجل ما يكفيهم فى الدنيا ويدخر الجم الكثير إلى يـــوم الدين فشرع رسول الله لو تدبرناه نجده رحمة الله لنا وبنا فهو الرحمـــــة لأجســـامنا وهو الرحمة لنفوسنا وهو الرحمة لبيوتنا وهو الرحمة لقلوبنا.

نسأل الله عز وجل أن يفقهنا فى ديننا وأن يرحمنا بتنفيـــذ شـــرع حبيبنـــا وأن يوفقنا للسير على سنته وإحياء ما اندرس بيننا من شريعته وأن يجعلنا نقتدى بســـيرته وسريرته ولا نغفل عن هديه وسيرته طرفة عين ولا أقل وأن يرينا فى أنفسنا جمـــالاً وفى أهلينا كمالاً وفى أحوالنا قبولاً وإقبالاً وأن يكشف عنا كل عناء وبـــلاء ببركـــة الشريعة السمحاء والسنة الشريفة لسيد الأنبياء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل العاشر

بشائر المحبين لرسول الله ﷺ

- تعلق الصحابة المباركين بجمالات النبى الكريم.
- زيارة الصالحين لروضة المصطفى.
- بشائر رجال الختام.

بشائر المحبين لرسول الله ﷺ (*)

الحمد لله رب العالمين الذى هدانا واصطفانا وجعلنا فى أفق حبيبه ومصطفاه أنواراً مشرقة والصلاة والسلام على بدر التمام وخير الأنام ومصباح القلوب المرسل لها من الملك العلام سيدنا محمد وآله الغر الكرام وأصحابه العظام وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الزحام وعلينا معهم أجمعين.

ورضى الله تبارك وتعالى عن إمامنا ومرشدنا فى الله تعالى مولانا الإمام أبى العزائم الذى جملنا الله عز وجل بالتتلمذ عليه ورحم قلوبنا بالأنوار الواصلة إليه وعلا هممنا بمدد العلوم النازلة عليه ونسأله عز وجل أن يديم جمعنا عليه ظاهراً وباطناً دنيا وآخرة حلاً وترحالاً نحن وأبنائنا وبناتنا وإخواننا والمسلمين أجمعين.

أما بعد..

فيا إخوانى ويا أحبابى فى الله ورسوله..

ونحن فى ليالى ذكرى أنوار حضرة المصطفى قد يتساءل البعض ما الذى يجعلنا جميعاً نحب الإمام أبا العزائم رضى الله عنه حباً خاصاً يجعل كل من حولنا يتعجبون من شدته؟ الإجابة على هذا السؤال على قدر ما أفاء عليه المصطفى ﷺ لنا من عطاء ونوال فإن الله عز شأنه جعل الكون مرآة لذاته وجعل الحبيب ﷺ مشكاة لجمالاته فالكون مرآة يظهر فيها جمال الله وجلال الله وكمال الله والمؤمنون

(*) كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٥ من ربيع الأول ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٦/٧م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة فى ذكرى الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ.

أجمعون لا يبغون فى الدنيا والآخرة إلا جمال وجه الله عز وجل وجمال الله ومشكاة ظهوره هو سيدنا رسول الله ﷺ .

تعلق الصحابة المباركين بجمالات النبى الكريم

وقد أوردت لنا كتب السيرة مدى تعلق أحباب الله بذاته المحمدية فمن أصحابه ﷺ من تعلق بعباداته فكانوا يذهبون إليه ليتابعونه ويرون عمله ثم لا يكتفون بذلك بل يذهبون إلى زوجاته الكرام ويتساءلون عن عبادة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وهؤلاء يظهر الله عز وجل لهم الجمال فى دار الجنان لأنهم يعبدون الله عز وجل على نهج حبيبه ومصطفاه طمعاً فى جمال الله الذى يظهر فى جنان الله عز وجل ومن أصحابه من كان يطمع فى أن يحظى بوصال ربه وهو يعلم يقيناً أن الله يحب من خلقه من كان على خُلقه فكانوا يسألون عن أخلاقه القرآنية وذهب نفر منهم إلى السيدة التقية النقية السيدة عائشة رضى الله عنها وسألوها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت للسائل ألست تقرأ القرآن؟ كان خلقه القرآن قال وأين ذلك يا أماه قالت فى قوله عز شأنه ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ إلى آخر الآيات الكريمات [الآيتان: ١،٢، سورة المؤمنون] ومنهم من كان يقتدى بهديه الظاهر ويريد أن يتشبه به ﷺ فى نسكه الظاهر وظاهره حق وباطنه حق ظاهره نور وباطنه نور ﴿ **نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء** ﴾ [الآية: ٣٥، سورة النور] ومنهم من كان يريد أن يتابعه فى أحواله حتى ينال ما فتحه الله له من كنوز فضله وعطائه ونواله وفى هذا المجال كان تنافس علية الأصحاب منهم من يتنافس فى حبه ومنهم من يتنافس فى وده ومنهم من يستبق فى زهده ومنهم من يتصارع فى ورعه ومنهم من يهتدى به فى حسن توكله

على مولاه ومنهم من كان يتشبه به على قدره فى ثقته بالله ومنهم من كان يريـــد أن يكون على هدى منه فى تفويض الأمور لحضـــرة الله وكلـــهم كمـــا قـــال الإمـــام البوصيرى رضى الله عنه :

وكلهم من رســول الله ملتمس   رشفاً من البحر أو غرفاً من الديم

ومنهم من كان يتنافس أكثر من ذلك فى وجيب قلبه مع حضرة ربه عز وجـــل منهم من يدعون الله خوفاً وطمعاً ومنهم من يدعون الله عز وجل يريـــدون وجهـــه ومنهم من لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومنهم مـــن وقفـــوا علـــى شـــاطئ الأعراف يعرفون كلاً بسيماهم كما عرفهم الله والإمام أبو العزائم رضـــى الله عنـــه وهذا سر حبنا له كان له الحظ الأعلى والنصيـــب الأوفـــر مـــن حـــب حبيـــب الله ومصطفاه ﷺ فقد كان يناجيه ويقول له :

كم ليلة فيــك لا صباح لهـــا   قد بتّ فيها قانصاً على كبدى
قد غصت العين بالدموع وقد   وضعت خدى على بنان يدى

فكان من شدة هيامه فى رسول الله ﷺ لا يهنأ بمقام ويقول فى ذلك :

كيف نومى بعــد عشـــقى   والحـــبيب هـــو الإمـــام

ويطالب أهله وذويه ومن يريدون أن يتمتعوا بالنور الذى هو فيـــه أن يكونـــوا على هذا النهج فقد كان يحج رضى الله عنه وأخذ أصحابه وذهـــب لزيـــارة البيـــت الحرام وكان بعض أصحابه يتمايل لينام فقال ﷺ وأرضاه:

أحمد السبكى تنام وتدعى حبنا   نوم أهل القرب فى الزلفى حرام

كيف يناموا فى مقام الأزدلاف والقرب من حبيب الله ﷺ .

وكيف ينام معشوقاً لليلى   وليلى تشتهى منه القيام

كيف ينام والحبيب ﷺ يطلبه ليكشف له الستائر وينير له البصائر ويواجهه بنوره الباهر الذى لو ساطعه من أنواره لمعت على الوجود لذك كما أخبر الرب المعبود عز وجل ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله** ﴾ [الآية: ٢١، سورة الحشر] والإشارة فيها لو نزل القرآن الحقيقى على جبل من جبال القلوب لخشع لأنوار علام الغيوب الظاهرة فى الحبيب المحبوب صلوات ربى وسلامه عليه ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس** ﴾ ومولانا الإمام أبى العزائم رضى الله عنه قال لنا جميعاً :

دع عنك مثلاً بل مقالاً واشهدن   سر العلى بنوره الوضاح

أى فاعلو عن الأمثال وعن المقال وادخل على حضرات الجمال والكمال تتمتع بأنوار المصطفى ﷺ بلا مثال ولا ظلال ولا زوال فالناس تعشق رسول الله لما يسمعون من جميل سيرته وتتعطر به أسماعهم من أحواله وأحوال أهل محبته لكن الإمام أبى العزائم رضى الله عنه يقول له : (عشقتك كشفاً لا سماع رواية) أنا عشقتك للكشف الذى رأيته.

زيارة الصالحين لروضة المصطفى

فقد ورد عنه رضى الله عنه أنه كان فى حجته وكما نعلم جميعاً يغلق الحرم المدنى بعد صلاة العشاء ولأمر يعلمه الله عز وجل لم يره الخدم لنصيب له أعدّ منذ القدم لأنه لا يدخل أحد من الصالحين مسجد رسول الله إلا بإذن فسيدنا أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه عندما حج البيت أمر بنصب الخيام خارج المدينة ومكث

ثلاثة أيام وكلما هم أصحابه بالدخول للزيارة وتعجلوا يقول حتى يـــأتى الإذن مـــن رسول الله ﷺ ﴿ **لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم** ﴾ [الآيـــة: ٥٣، ســـورة الأحزاب] فكانوا يستأذنون قبل الدخول وكانوا يقرأون هذه الآية على باب الحرم ولا يدخلون إلا إذا سمعوا ادخل يا فلان أو يشموا رائحته العطرة التى ليس لها مثيل فـــى الأكوان فإن لرسول الله ﷺ رائحة خاصة يعلمها المحبون لا يشمونها بهذه الأنـــوف الظاهرة وإنما من باب ﴿ **إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفنـــدون** ﴾ [الآيـــة: ٩٤، سورة يوسف] فيشمونها بمشام القلوب كسيدنا يعقوب عندما شم رائحة سيدنا يوســـف من مصر وهو فى بيت المقدس وكذلك العارفون يشمون رائحة النبى ﷺ الخاصـــــة التى يقول فيها أصحابه رضى الله عنهم كان ﷺ إذا سلك طريقاً نعرف أنه مشـــــى فى هذا الطريق من رائحته التى نعلمه بها فبعضهم يشم هذه الرائحة فتكـــون إذنـــاً لحضرته بالدخول لزيارته ﷺ وإذا كنا نقول لا يزار الولى إلا بإذنه فما بالكم بســـيد الأولياء وإمام المرسلين والأنبياء وقدوة الصالحين والأصفياء ﷺ فقفل الخدم الحـــرم وتركوا الإمام أبا العزائم رضى الله عنه مع حبيب الله ومصطفاه فى ليلة ليلاء قـــال فيها رضى الله عنه :

حبيبى قد شرح صدرى	**وآنســـنى إلى الفجـــر**
ورقـــانى إلـــى أعـــلى	**مقام القرب والســـير**
ونادانـــى الإمـــام هيا	**أتاك الوصل بالبشـــر**
فقـــم للدين يا ماضـــى	**فإنى قد صـــدر أمرى**
تمـــلى بى وشـــاهدنى	**ومل عندى عن الغير**
وأنبـــأ من يرد قربـــى	**بحسنى حيث لا يدرى**

فتمتع بما كاشفه الله به من أنوار حبيب الله ومصطفاه وقرب لنا الحقائق وصاغ لنا فى عبارات قريبة هذه الرقائق التى لا تستطيع أن تنطقها الألسن ولكن تقرأها القلوب بعد تناول طهور المشروب والخلاص من الأدناس والتطهير من العيوب وعرفنا أن هناك مقام عظيم ادخره النبى الكريم لمن لم يحظى بهيكله الشريف فى زمانه وعصره وأوانه نحن ومن قبلنا كنا فى هم ملازم لأننا لم نرى رسول الله ولم نتمتع بجماله وبهاه ونتلهف على لمحة من نوره لأن لمحة واحدة من نور رسول الله فيها كل خير وبركة وعطاء **(من رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بى)**[1] هذا تقرير والتبشير **(من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة)** متى؟ عند خروج الروح ويوم الزحام يأتى ساعة الموت يستقبله ويهنأه بسلامة الوصول ويقول له أنت هنا معنا لأنك مت على حب الله وحب رسول الله ﷺ ويزيد فى البشرى فيقول لنا **(يحشر المرء مع من أحب يوم القيامة)**[2].

بشائر رجال الختام

ويعطينا مقاماً أصحابه ﷺ أنفسهم تمنّوا هذا المقام وكان بودهم أن يسمعوا عبارات الشوق من المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام فسيدنا بلال لما ذهب إلى الشام بعد انتقال رسول الله إلى الرفيق الأعلى جاء إليه النبى فى المنام وقال له يا بلال ما هذا الجفاء؟ أما آن لك أن تزورنا وغيره كذلك كان على هذه الكيفية لكن نحن قال لأصحابه بشأننا ليعرفوا مكانتنا ومنزلتنا **(واشوقاه لإخوانى الذين لما يأتوا بعد قالوا ألسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال أنتم أصحابى. إخوانى قوم يأتون فى**

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما والإمام أحمد عن أبى هريرة.

(٢) رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما وأحمد عن أنس والترمذى (متفق عليه).

آخر الزمان آمنوا بى ولم يرونى عمل الواحد منهم بسبعين منكم فقال سيدنا عمر بسبعين منا أو منهم يا رسول الله؟ قال بسبعين منكم أنتم تجدون على الحق أعواناً وهم لا يجدون)[1] من الذين فى آخر الزمان؟ ومتى آخر الزمان؟ البشرى تحققت لنا على لسان الإمام أبى العزائم رضى الله عنه وقال لنا :

من مثلكم والشوق أوصلكم إلى — سر الأخـوة مطلـب الأصحاب

وقال أيضاً :

إخـوانه والناصـرون لدينـه — والمرشـدون بحضرة الفتـاح

نحن المقصودون بهذا الكلام وكيف نتيقن من هذا الكلام؟ نتيقن من منامات الصالحين التى قال فيها المصطفى ﷺ : **(لم يبق بعدى إلا المبشـرات الصالحـات الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له)**[2] وقد انتسب بعض أهل الصفـا من إخواننا أهل البداية للإمام أبى العزائم وكانوا يريـدون أن تطمئـن قلوبـهم لأن الكلام الذى كان يقوله كان كلاماً غير عادى فنام أحدهم ورأى رسول الله ﷺ قـاعداً على كرسى وأمامه ستارة وأمام الستارة يجلس الإمام أبو العزائم على كرسى وكلمـا نطق رسول الله ﷺ بكلمة كررها الإمام أبو العزائم فإذا نطق جملة أعادها الإمـام أبو العزائم بدون زيادة أو نقص فقام من نومه وقد زاد وربا الإيمان فى قلبه وجـاء مسروراً إلى الإمام فى بيته وسراياه فى شارع مجلس الأمة وجلس فى المجلس وإذا به رضى الله عنه وأرضاه يقول :

---

(١) رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط عن أنس.

(٢) رواه الإمام مالك فى الموطأ عن عطاء بن يسار.

لــولا ولــولا ولــولا **عهد وثيق لمــولى**
لكشفت عنى ستارى **وبحت بالســر قولا**
لكن وجهـــاً جميلاً **لعين قلبى تجـــلى**
أغــيب عنى وأملى **لمن بسرى تحــلى**
إن كان ما قلت نوراً **فالسر أعلى وأغلى**
يعطى لفــرد مــراد **عن كل غير تسلى**
باع النفــوس ومالا **حتى به كــنت أولى**

فالحمد لله الذى عرفنا وأكد لنا أننا لسنا محبين ولكن محبوبين لســيد الأوليــن والآخرين وهناك فرق كبير بين المحب والمحبوب، وبين الطالب والمطلوب، وبيــن المريد والمراد فالمريد يجمل نفسه لئلا يردوه والمراد يجملوه ويزينـــوه ويتغــاضوا عن عيوبه لأنهم يحبوه ونحن فى أمثالنا العادية نقول : عدوك يتمنـــى لــك الغلــط وحبيبك يبلع لك الزلط فنحن محبوبون لرسول الله ﷺ هذه الحقيقة وهذا السر وهــذا الكنز الذى كشفه لنا والذى عرفه لنا فتحه الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضــاه فعرفنا بأننا لنا مكانة عند رسول الله وأن لنا منزلة عند حبيب الله ومصطفاه وأن كـل واحد منا له فى باطنه كنز فيه نور النور ورمز السرور فيه نــور مــن حبيــب الله ومصطفاه وبسر هذا الكنز وببركة هذا النور لاح فلاحنا وزاد نورنا وكــان هناءنــا فى الدنيا ويوم لقاء ربنا عز وجل هذا النور وارد فى الحديث الصحيح الذى يرويــه الإمام البخارى رضى الله عنه والذى يقول فيه ﷺ **(إن الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور وفق واهتدى ومن لم يصبه ذلك النــور ضل وغوى)** هذا النور يا إخوانى يقول فيه ﷺ **(أنا من الله والمؤمنون من نــورى)** وفى رواية **(أنا من الله والمؤمنون منى)** ويقول فى رواية أخرى **(إن فـــى القلــب**

لغيب وإن فى الغيب لسر وإن فى السر لنور وإن فى النور لأنا) ولذلك قال إمامنا أبو العزائم رضى الله عنه (أحب ما فيك منه لأنه هو المحبوب له لا أنت) أى أحب ما فيك من نور حبيب الله ومصطفاه فهو السر وهو المغناطيس الذى يشد القلوب إلى الله ويشد النفوس إلى كتاب الله ويشد الصدور إلى العلم بالله ويشد الأجساد إلى زيارة حرم الله وبيت الله كل هذا من أين يا إخوانى؟ من مغناطيس المحبة الذى هو من نور حبيب الله ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه والحمد لله يا إخوانى أن الله أكرمنا وجعلنا محبوبين لسيد الأولين والآخرين ﷺ ومقام المحبة هذا مقام عظيم بشراه وهناه تتضح فى كثير مما ورد فى كتب الأولين وفى سير الصالحين فقد ورد فى توراة سيدنا موسى عليه السلام أن رجلاً كان مسرفاً على نفسه من قوم موسى ولما توفى أراد ذووه والمحيطون به أن لا يصلوا عليه ولا يدفنوه فى مقابرهم فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن اذهب إلى فلان هذا وغسله وكفنه وصلى عليه فتعجب موسى وقال لم يارب؟ قال إنه فتح التوراة مرة فوجد اسم حبيبى محمد فيها فقبله ووضعه على عينيه وعظمه ومن أجل ذلك حرمته على النار فإذا كان الذى عظم رسول الله مرة له هذا الجزاء فكيف بمن كان كما يقول الحافظ بن ناصر الدمشقى رضى الله عنه معبراً عن رؤيا العباس رضى الله عنه فى أخيه أبى لهب عندما رآه فى المنام وسأله كيف حالك يا أخى؟ فقال أنا فى أشد الكرب وإنما يخفف عنى كل ليلة اثنين. قال ولم؟ قال لأن ثويبة جاريتى عندما ولد ابن أخى محمد وبشرتنى به فرحت وقلت لها أنت حرة لوجه الله عز وجل فكافأنى الله بذلك وخفف عنى كل ليلة اثنين لفرحى بميلاد رسول الله ﷺ فقال الحافظ بن ناصر الدمشقى معبراً عن ذلك :

إذا كان هـذا كافراً جـاء ذمـه ... وتبت يداه فى الجحيم مخلداً
أتى أنه فى ليلـة الاثنين دائمـاً ... يخـفف عنه للسرور بأحمد
فما الظن بالعبد الذى عاش عمره ... بأحمد مسروراً ومات موحداً

فما هو نصيب هذا يا إخوانى إن شاء الله؟ فنحن والحمد لله لنا بشرى عظيمة عند الله لأننا محبوبين لرسول الله ﷺ ويكفينا تيهاً وفخراً أنه تمنى أن يرانا وقال وددت لو أن الله جمع بينى وبينهم وإن شاء الله سيجمع الله بيننا وبينه لا شك فى ذلك لأننا والحمد لله محفوظين بذلك.

كل روح ترى جمال حبيبى ... ليلة الوضع لا برؤيا المنام

فهذا الذى حببنا فى مولانا الإمام أبو العزائم رضى الله عنه لأنه بين لنا أننا المعنيون والمقصودون بمحبة رسول الله وأننا المبشرون بأننا سنكون يوم القيامة معه عند الله وسندخل جميعا فى قول الله ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** ﴾ [الآية: ٦٩، سورة النساء] وفتح الله عز وجل الآية إلى يوم الدين.

نسأل الله عز وجل أن يملأ قلوبنا بخالص حبه وأن يسقينا من صافى كاسات وصاله وشربه وأن يكشف عنا كل رين وغين وكل غطاء وبين حتى تقع العين منا على العين وحتى نرى أنوار الحبيب المصطفى بلا رين ولاغين ونكون معه فى الدنيا ويوم الدين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهرس

المؤلف فى سطور

فوزى محمد أبو زيد

تاريخ ومحل الميلاد : ١٨/١٠/١٩٤٨م الجميزة مركز السنطة محافظة الغربية.

المؤهــــل : ليسانس كلية دار العلوم ١٩٧٠م.

العمـــــل : مدير عام بالتربية والتعليم ــ بمديرية طنطا التعليمية.

محل الإقامة : الجميزة ــ غربية.

النشــــاط :

- يعمل رئيساً للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية والمشــهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى: ٧٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقـــاهرة ولــها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.
- يتجول فى جميع أنحاء الجمهورية لنشر الدعـــوة الإســـلامية وإحيـــاء المُثـــل والأخلاق الإيمانية بالحكمة والموعظة الحسنة بالإضافة إلى الكتابـــات الهادفـــة إلى إعادة المجد الإسلامى.

دعــوته :

- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل علــــى جمـــع الصـــف الإسلامى وإحياء روح الاخوة الإسلامية والتخلص مـــــن الأحقـــاد والأحســـاد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.
- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية بعد تـــهذيب نفوســـهم وتصفية قلوبهم.
- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الديـــن وإحيـــاء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام.

تطلب مطبوعات الدار

من الأماكن التالية

١ – دار الإيمان والحياة : ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى – ت: ٥٢٥٢١٤٠ – القاهرة.

٢ – الزقازيق : حى السلام ش عمرو بن العاص – مسجد جمعية الدعوة إلى الله.

٣ – ديرب نجم : جمعية الدعوة إلى الله – خلف مدرسة الثانوية للبنات.

٤ – الجميزة – غربية : دار الصفا – ت: ٥٣٤٠٥١٩ طنطا.

٥ – بنها : جمعية الدعوة إلى الله – المنشية – ٧ شارع شريف باشا متفرع من شارع وهبة.

٦ – محافظة المنيا – مغاغة : جمعية آل العزائم "مسجد آل العزائم".

٧ – محافظة قنا – العديسات قبلى – نجع علوان : جمعية الدعوة إلى الله.

٨ – محافظة الإسماعيلية – سرابيوم – عزبة القراقرة – جمعية الدعوة إلى الله.

٩ – الدراسة : دار جوامع الكلم.

١٠– مكتبات القاهرة.

١١– دار الشعب : شارع القصر العينى.

١٢– مكتبة تاج بداير سيدى أحمد البدوى بطنطا.

رقم الإيداع ١٤٥٨٣ / ٢٠٠١